AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١٢٦) - السنة (٤٩) ربيع الأول ١٤٤٠هـ / ١ ديسمبر ٢٠١٨م

العم حمود الرومي..
هدوء العابد ووقار الداعية

اعتراض نيابي وقانوني لمنح الجنسية الكويتية لغير المسلمين

الواقع الصحي بالعالم الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

غضب واسع من إقرار الحكومة التونسية لقانون المواريث

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت ٧٥٠ فلساً - السعودية ١٠ ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر ١٠ ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن ١,٧٥٠ دينار أردني - لبنان ٤٥٠٠ ليرة - المغرب ٢٣ درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3,5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

عروض مجلة «المجتمع»
لمشتركيها خلال عام ٢٠١٨

اشترك ثلاث سنوات
واحصل على الرابعة مجاناً

داخل الكويت: ٣٠ د.ك بدلاً من ٤٠ د.ك

الدول العربية: ٥١ د.ك بدلاً من ٦٨ د.ك

الدول الأجنبية: ٧٥ د.ك بدلاً من ١٠٠ د.ك

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: .....

الرمز البريدي: .....

تليفون: ٠٠٩٦٥٩٧٢٢٨٢٩٠ - تلفاكس: ٠٠٩٦٥٢٢٥٦٠٥٢٥

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

قيمة الاشتراك السنوي داخل الكويت: ١٠ دنانير كويتية

الدول العربية: ١٧ ديناراً كويتياً - الدول الأجنبية: ٢٥ ديناراً كويتياً

المؤسسات والشركات: ٣٠ ديناراً كويتياً، (أو ما يعادلها)

تشمل عمولة التحويل

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢١٢٦) - (السنة ٤٩)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠هـ - ٢٠٠٦/٩/٣م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

الإخراج الفني
مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة.
الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير
٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩
٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٥ (٠٠٩٦٥)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

الواقع الصحي بالعالم الإسلامي

- نواب: منح الجنسية الكويتية لغير المسلمين مخالفة شرعية 6
- «الأمطار» تكشف فساد البنى التحتية 8
- العم حمود الرومي.. هدوء العابد ووقار الداعية 10
- شرق الفرات.. العملية العسكرية التركية القادمة بسورية ... 36
- انتهاكات متواصلة ضد «الأويجور» 38
- د. الراوي: «التطرف» بين مسلمي الغرب مستورد من الشرق 40
- الأندلس.. إباء وذكاء 42
- غضب واسع من إقرار الحكومة التونسية لقانون المواريث ... 45
- ورفعنا لك ذكرك 46
- نحو تأسيس جامعة للاجتهاد الحضاري 60

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات:
امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

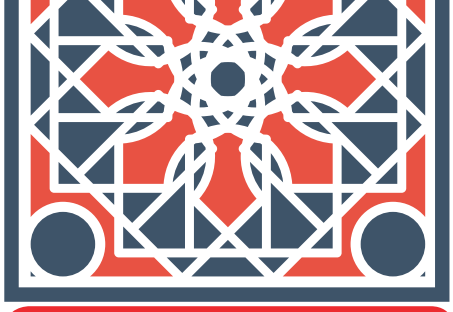

آية العدد

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾

(سورة البقرة)

ملفات خاصة عن

تنمية أسرية - تربوي - ترجمات
فتاوى - تراجم - فكر وثقافة

مقالات

الغِيبة.. وحركة الحياة
د. عامر البوسلامة 54

ابن السبكي صاحب طبقات الشافعية
د. يوسف السند 55

هل ما زال الأمل قائماً بالعودة؟!
د. عصام الفليج 66

ادخل على موقع «المجتمع»

رأي المجتمع

مواجهة الفقر وإغناء الإنسان.. إستراتيجية كويتية

عُقد في الكويت، خلال الأسبوعين الماضيين، مؤتمران لمواجهة الفقر وإغناء الإنسان ليشعر بكرامته، وأقيم المؤتمر الدولي «إنسانية واحدة ضد الجوع» برعاية من سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الصباح، قائد العمل الإنساني؛ ما يؤكد اهتمام سموه بنشر المساعدات في العالم عبر المؤسسات الخيرية الكويتية، لتستحق الكويت لقب «مركز إنساني عالمي».

ويهدف المؤتمر الذي تنظمه الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، بالتنسيق مع الأمم المتحدة، إلى حشد وتوحيد جهود الجهات الإنسانية الفاعلة لمكافحة الجوع على نطاق العالم، من خلال مبادرة إطعام مليار جائع على مدى سنة كاملة (٢٠١٨ - ٢٠١٩م) عبر تعهدات المنظمات المشاركة في المؤتمر؛ وذلك من خلال المشاريع الإغاثية والتنموية، وفق الاحتياجات الأساسية للفقراء.

ويسعى المؤتمر لإيجاد حلول مستدامة لمحاربة الجوع وسوء التغذية، وتوفير الغذاء الصحي للأطفال والأمهات بالدرجة الأولى، وباقي أفراد المجتمع بشكل عام.

وشارك في هذا المؤتمر ١٥٠ مؤسسة إنسانية، من ٥٠ دولة حول العالم.

كما أقامت جمعية بلد الخير «المبادرة الوطنية للقضاء على الفقر بدولة الكويت» (إغناء)؛ بهدف توفير الحياة الكريمة لكل من هو على أرض الكويت من مواطنين ومقيمين، مسلمين وغير مسلمين، على حد سواء.

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته»، وذلك لعظم الأثر النفسي والمعنوي لدى الفقراء، ولما فيه من إذلال وأذى -مقصود أو غير مقصود- للنفس.

إن القضاء على الفقر حلم ولكنه ليس مستحيلاً، وإذا كانت الأمم المتحدة قد خصصت يوماً للقضاء على الفقر، فإن الكويت استطاعت أن تضع بصمات عالمية في مواجهة الفقر بمختلف دول العالم، وتبنت عدة مؤتمرات مانحين لعدة دول، كانت لها اليد الطولى في العطاء والمنح والدعم، دون شرط أو منة، خصوصاً وأن القضاء على الفقر مبادرة عالمية من الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة.

وكم كان منظر المؤسسات الخيرية رائعاً وهي تتسابق لإعلان تبني ملايين الفقراء حول العالم! وهذا ما أكده الجميع في تضافر الجهود ضد الفقر.

ولا يثنينا ذلك عن أمرين مهمين؛ الدعاء إلى الله عز وجل التوفيق والسداد، ورفع الغمة عن فقراء العالم، والتخطيط الجاد.■

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

قطر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الدار البيضاء
ص.ب 13008 ـ الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

موافقة «التشريعية» أثارت جدلاً واسعاً..

نواب وقانونيون: منح الجنسية الكويتية لغير المسلمين مخالفة شرعية ودستورية

سادت حالة من الجدل في أوساط المجتمع الكويتي من نواب وسياسيين وقانونيين حول موافقة اللجنة التشريعية بمجلس الأمة على تجنيس غير المسلم؛ ففي الوقت الذي اعتبر بعضهم اقتصار الجنسية على المسلم ضرورة للحفاظ على الهوية الكويتية؛ أكد آخرون أنه أمر مستحق، وتصاعدت ردود الفعل حول القرار وثار السجال بين موقفين متناقضين منه.

هايف: سنستخدم كل الوسائل الدستورية لحماية المجتمع من هذه القوانين المنحرفة

المطيري: أليس الأولى استعجال تجنيس «البدون» المستحقين وأبناء الكويتيات بدلاً من ذلك؟!

كتب - سامح أبوالحسن:

وافقت اللجنة التشريعية في مجلس الأمة الكويتي على مشروع قانون يسمح بمنح جنسية البلاد لغير المسلمين من المقيمين في الكويت؛ وهو ما أثار حالة من الجدل بين النواب والسياسيين والقانونيين؛ حيث ينظم قانون الجنسية الصادر بمرسوم أميري عام ١٩٥٩م حالات منح الجنسية بغير الطريقة المتعارف عليها التي يتم اكتسابها من الوالدين أو الزوج، ويشترط القانون وفق تعديل عام ١٩٨٠م أن يكون الشخص المراد تجنيسه مسلماً بالميلاد، أو أن يكون أسلم ومضى على إسلامه خمس سنوات على الأقل قبل تجنيسه.

كما ينص على إسقاطها حال ارتداد الشخص، أو سلوكه مسلكاً يقطع بنيته في ذلك، وتسقط كذلك عمن اكتسبها معه بطريق التبعية.

ورأى عضو اللجنة التشريعية في مجلس الأمة النائب أحمد نبيل الفضل أن اشتراط الإسلام يعد أمراً نشازاً في بنود قانون الجنسية الحالي؛ فيما اعتبر النائب محمد هايف المطيري أن القانون المقترح مخالف للشرع والدستور والمصلحة العامة للبلاد.

كما قال هايف: إن أي حكومة توافق على هذا القانون سيكون يوم موافقتها هو يوم سقوطها، مستغرباً في الوقت ذاته من مواقف بعض النواب الذين يهاجمون الوافدين، وفي الوقت نفسه يقدمون مثل هذه الاقتراحات؛ حيث قال: من كان يهاجم الوافدين المسلمين، اليوم يطالب بتجنيس الوافدين غير المسلمين، وهذه التناقضات غريبة!

وأوضح النائب هايف أن قرار اللجنة التشريعية في هذا الشأن لا ينحصر بمنح الجنسية لغير المسلمين فقط، بل التعديل بحذف المادة الرابعة والبند الخامس منها الذي ينص على عدم منحها لغير المسلم وإسقاطها ممن يرتد عن الإسلام، وهذا التعديل يراد منه محاربة الهوية الإسلامية.

وقال هايف: هذه القوانين تخدم غير الكويتيين وغير المسلمين لتغيير تركيبة البلد السكانية وهويته الإسلامية، وليس للبلد مصلحة في ذلك، مشيراً إلى أن «البدون» يحملون شهادات الدكتوراه وبعضهم مشمول في «إحصاء ٦٥»، لماذا لا يقدم مثل هذا الاقتراح لتجنيس هذه الفئة؟

واستبعد هايف أن توافق أي حكومة على هذا التعديل، قائلاً: لن نقبل بمثل هذه القوانين والتعديلات حتى لو وافقت عليها اللجنة التشريعية، وسنستخدم

كل الوسائل الدستورية لحماية المجتمع من هذه القوانين المنحرفة والشاذة.

وقال النائب ماجد مساعد المطيري: إن قرار «التشريعية» الموافقة على منح الجنسية الكويتية لغير المسلم غير صائب، وسنتصدى له في المجلس لما به من مخالفة شرعية ودستورية، حيث إن الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للتشريع، فضلاً على أن له تبعات خطيرة مستقبلاً، متسائلاً: أليس من الأولى استعجال تجنيس «البدون» المستحقين وأبناء الكويتيات بدلاً من ذلك؟!

وأعلن النائب رياض العدساني أنه ضد التعديل، وقال: أؤكد أنني ضد تعديل قانون الجنسية الكويتية والبقاء على ما هو عليه حالياً حسب المواد المذكورة، متسائلاً: لماذا التجنيس أساساً؟! فلا يجنس إلا من يستحق الجنسية وفق القانون، وأوضح العدساني أن قانون الجنسية الحالي لا يمنع تجنيس غير المسلمين حسب المادة (٥) ولكن بشروط، ولهذا السبب لا حاجة لتعديل القانون.

وقال النائب السابق عبداللطيف العميري: اقتراح تجنيس غير المسلم الذي أقرته اللجنة التشريعية الصورية مؤخراً ما هو إلا عبث حكومي وتكتيك مكشوف للمساومة على استجواب رئيس الوزراء.

ووافقه الرأي النائب السابق أحمد الشحومي حيث قال: نرفض تعديل قانون الجنسية بما يسمح بتجنيس غير المسلمين، الكويت دولة إسلامية ولا يستحق جنسيتها غير المسلم مهما قدم أو كان له اعتبار عند البعض، ونطالب النواب بالتصدي لهذا التعديل ورفضه حماية لمصلحة البلد ولعدم تغيير الشكل العام للمجتمع.

ومن جانبها، قالت المحامية دانة الرشيد: عندما يطرح قانون الجنسية على طاولة التعديلات التشريعية، ويتم تجاهل سنوات من المطالبات، لتتم الموافقة على تعديل غير مجدٍ؛ فإنه أمر محبط ويهدر مطالباتٍ مستحقة، ويثبت أن ممثلي الأمة يمثلون مصالحهم فقط ويتجاهلون المستحق، والأمل بصباح العز فقط.

فيما تساءل الأكاديمي د. محمد ضاوي العصيمي: هل انتهت هموم الناس وأولوياتهم واحتياجاتهم ومصالحهم ليكون هذا هو رأس أولويات اللجنة التشريعية؟! مؤكداً أن هذا المقترح يمثل أصحابه ولا يمثلنا.

وأوضح أستاذ القانون الدستوري بجامعة الكويت د. فواز الجدعي أنه لا يعارض التعديل، لكنه مع مراعاة طبيعة المجتمع، وأن يوضع في الحسبان أن يكون أغلب المجنسين من أتباع الديانات السماوية.

وطالب النائب راكان النصف بالذهاب إلى المحكمة الدستورية، حيث قال: لدينا قناعة تامة بأن إعادة الوضع على ما كان عليه في السابق والسماح بتجنيس غير المسلم هو تطبيق صحيح للدستور، كما أننا نريد أن نحسن النية ونفترض بأن لديكم فهماً مختلفاً للمادة (٢٩) من الدستور، مطالباً بالذهاب إلى المحكمة الدستورية لتفصل في هذا الاختلاف.

فيما قال الكاتب الصحفي حسن العيسى في مقال له بإحدى الصحف المحلية: يعد إقرار اللجنة التشريعية تعديل قانون الجنسية بإلغاء شرط الإسلام لكسب «الكويتية» خطوة صحيحة لعقلانية التشريع، وهذا يتسق مع نصوص الدستور وروحه التي ترفض التمييز بين الناس بسبب جنسهم أو أصلهم أو لغتهم أو دينهم.■

«الأمطار» تكشف فساد البنية التحتية

المحرر المحلي

حمل نواب وسياسيون الحكومة مسؤولية القصور في البنية التحتية الذي ظهرت آثاره واضحة أثناء موجة الأمطار التي شهدتها البلاد أخيراً، حيث ذهبوا إلى أن الأضرار التي لحقت بالمواطنين وممتلكاتهم سببها الرئيس قصور في القرارات، وأخطاء في تنفيذ المقاولين لأعمال البنية التحتية وصيانتها، مؤكدين أن الفساد المتهم الأول في هذا التدهور الذي فضحته الأمطار.

أكد عدد من النواب أن مئات الملايين أُنفقت على المدن الجديدة وأصبحت منكوبة! حيث قال النائب شعيب المويزري: غاب التنسيق والمتابعة والإشراف والاستعداد لمواجهة الأزمات والكوارث طوال السنين الماضية، فحدثت الكارثة، مشيراً إلى أن هناك أكثر من ٢١ مليار دينار كويتي (ميزانية ٤ دول أفريقية!) لصيانة الطرق والشوارع وشبكات تصريف مياه الأمطار، ولإنشاء وصيانة شبكات الصرف الصحي خلال السنوات العشر الماضية، ومع ذلك غرقت المناطق والشوارع!

وتابع: أُنفقت مئات الملايين على مدينة صباح الأحمد، وخلال الأمطار أصبحت مدينة منكوبة! ولم تتحمل الكثير من المباني الحكومية كالمستشفيات والمراكز الصحية والمدارس مياه الأمطار، مبيناً أن هناك مئات الأسر انتظرت سنين عديدة لتسكن في بيوتها الجديدة، فهطلت الأمطار ودمرت كل أحلام هذه الأسر، وتحطمت سياراتهم وأثاثهم، والله أعلم بحالهم، كل ذلك لم يكن بسبب الأمطار بل بسبب عدم قدرة الحكومة على التعامل مع الكوارث والأزمات.

المويزري: مئات الملايين أُنفقت على المدن الجديدة والأمطار جعلتها منكوبة!

العجمي: الفساد متأصل وضارب في الأعماق ونتيجته سوء الخدمات والبنى التحتية

من جانبه، قال النائب أسامة الشاهين: وقّعت وزارة الأشغال العامة ٢٧٣ عقداً لإنشاء وصيانة الطرق والجسور والأنفاق وشبكات تصريف مياه الأمطار وشبكة مجاري الصرف الصحي خلال السنوات العشر الماضية بإجمالي ٢١ مليار دينار، فهل ما رأيناه في الشوارع والأنفاق خلال الأمطار يتناسب مع حجم العقود والإنفاق؟!

دروس مستفادة

فيما قال النائب محمد الدلال: نعم يوجد فساد في مقاولات الصرف الصحي والطرق ساهم فيما نراه من أضرار، وفي المقابل شهدنا أداء متميزاً ووطنياً للجهات الرسمية والشعبية المعنية بالدفاع المدني والطوارئ، الأهم أن الأكثرية من أهل الكويت قلوبهم وعقولهم على الكويت وأهلها، وقلة فاسدة يجب أن تُواجَه وتُحارَب وتُقصى قانونياً.

وطالب النائب رياض العدساني بتحويل كل متجاوز من مسؤولين ومقاولين ومستشارين إلى النيابة العامة، والاستعانة بالجهات المختصة للتأكد من صحة الاعتمادات والمستندات، وإلا سيتم استجواب وزيرة الإسكان، فما حصل بمدينة صباح الأحمد يعتبر كارثياً، وسأتابع إجراء الوزيرة بتحويل المسؤولين عن الأضرار للنيابة بعد التحقيق.

ومن جانبه، قال الوزير السابق د. نايف العجمي: نتفق جميعاً على وجود الفساد، وأنه متأصل وضارب في الأعماق، وأن سوء الخدمات والبنى التحتية إنما هو بسبب الفساد، لكن يبقى السؤال المهم: من هو الفاسد؟ ولماذا لا يُحاسب؟ وما

الشاهين: «الأشغال» وقّعت ٢٧٣ عقداً لإنشاء وصيانة الطرق خلال ١٠ سنوات بقيمة ٢١ مليار دينار

الطريقة العملية للقضاء على الفساد ومعاقبة المفسدين؟!

وبالمقابل، فإن العاقل عند وقوع الحوادث والأزمات لا يلتفت إلى أصوات النشاز التي تحركها العواطف، وإنما يصغي إلى صوت العقل والحكمة، الذي يغلب المصلحة العليا، ويتعامل مع الظروف الاستثنائية بمسؤولية وطنية، وهذا لا يعني عدم مساءلة المقصر ومعاقبة الفاسد، ولكنّ لكل حادث حديث، ولكل مقام مقال.

أخطاء متكررة

أما أستاذ القانون الدستوري د. محمد المقاطع، فطالب بضرورة فتح ملفات الفساد بطريقة عاجلة، حيث قال: أسلوب حكومتنا في مواجهة الأخطاء -بل وربما الفساد الكامن وراء الأخطاء- يتم من خلال البحث عن كبش فداء، وإحالة مسؤول أو وكيل للتقاعد، فلا طبنا ولا غدا الشر، المسؤولية سياسية في الأساس، وقانونية تالياً ثم إدارية، والمعالجات بأسلوب المسكنات وردود الأفعال لا تقدم حلاً، أخطاء متكررة وحكومة مقصرة.

وقد أشاد عدد من النواب بالجهود الحكومية، التي صاحبت استمرار هطول الأمطار في البلاد من رجال الداخلية والجيش والحرس الوطني والطوارئ الطبية والإطفاء وغيرها من الجهات، التي شاركت في إنقاذ البلد من تكرار الأزمة، ووجهت المواطنين والمقيمين إلى ما يكفل تأمين حياتهم وإبعادهم عن أخطار السيول والأمطار، حيث قال رئيس مجلس الأمة مرزوق الغانم: بالرغم من شدة الأمطار وغزارتها، فإن أبناءنا وإخواننا منتسبي تلك الجهات تفوقوا على أنفسهم، وواصلوا الليل والنهار من أجل التعامل مع تداعيات وآثار تلك الموجة، ونجحوا في ذلك أيما نجاح.

فيما وجه النائب أسامة الشاهين التحية والشكر والتقدير لكل الرجال والنساء، الذين يسهرون حتى ينام أطفالنا مطمئنين، ويخاطرون بحياتهم كي نكون آمنين.■

جهود حكومية ومجتمعية كبيرة بذلت لمواجهة الكارثة

شهدت الكويت في ليلة السادس من نوفمبر الماضي أمطاراً شديدة وسيولاً جارفة استمر بعضها لأكثر من ٦ ساعات متواصلة، لتستمر موجة الأمطار على مدى عدة أيام بدرجات وكميات مختلفة، تراوحت بين ١٥٠ - ٢٠٠ ملم، وتبعتها أمطار شديدة أيضاً يومي ١٤ و١٥ نوفمبر الماضي.

وقد بادرت الحكومة بمكافحة آثار الأمطار الشديدة التي شهدتها البلاد، وحشدت مؤسساتها جميعاً لهذه المهمة بالتعاون بين وزارات الدولة، وفعّلت كل أدواتها لمساعدة المواطنين والمقيمين وتوعيتهم.

وقامت الإدارة العامة للإطفاء بعمل عدة فيديوهات توعوية بثتها عبر شبكات وزارة الإعلام وتلفزيون وإذاعة الكويت ووسائل التواصل الاجتماعي بعدة لغات؛ للتنبيه والتوعية بكيفية التعامل مع الأمطار والسيول.

كما قامت الحكومة بتوفير شقق سكنية للذين تضررت بيوتهم بسبب الأمطار إلى حين انتهاء هذه الموجة الغزيرة وإصلاح أضرار بيوتهم.

وقامت العديد من الجمعيات الخيرية بحملات توعوية للمواطنين والمقيمين للتحذير من موجة الأمطار الشديدة التي ضربت البلاد، وسخّرت بعض الجمعيات حساباتها في هذا الوقت للتوعية بآثار الأمطار وأكثر المناطق تضرراً، وفتحت فروعها للمتضررين.

وأعلنت بعض الجمعيات الخيرية عقب هطول المطر الشديد عن تقديم مساعدات عاجلة للمتضررين من مياه الأمطار، وأعطت الأولوية للأسر الأكثر تضرراً.

كما قامت العديد من الجمعيات التعاونية مع زيادة هطول المطر في الموسم الشتوي الحالي بإعلان خدمات الطوارئ، نظراً لتقلبات الطقس التي شهدتها البلاد، وتوفير فنيي الصحي والكهرباء وخدمة سحب المياه مجاناً، وخدمة توصيل المرضى للمراكز الصحية، وتوصيل الأدوية للمنازل، وذلك على مدار ٢٤ ساعة.

فيما دعا عدد من الجهات للمبادرة بالتطوع لإعادة دفن رفات الموتى في القبور التي عرتها السيول، والدعوة إلى مشاركة هذه الجهود، ومن ضمنها حملة نماء للزكاة والتنمية المجتمعية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي يوم السبت ١٧ نوفمبر الماضي لدفن القبور المتضررة من السيول.

شكراً للجنود المجهولين

تتقدم «المجتمع» بالشكر والتقدير لجميع الجنود المجهولين الذين عملوا من أجل المواطنين والمقيمين على حد سواء، وبذلوا جهودهم وصحتهم ووقتهم، وتركوا أسرهم وأبناءهم من أجل الكويت، وكان نتيجة ذلك التعاون الكبير النجاح في تجاوز الأزمة بأقل الخسائر البشرية.

شكراً لجميع العاملين في أزمة الأمطار الأخيرة بوزارات الداخلية، والدفاع، والكهرباء والماء، والأشغال العامة، والصحة، والإعلام، والحرس الوطني، والإدارة العامة للإطفاء، والطوارئ الطبية.

وشكراً للفرق التطوعية من الشباب الكويتي، الذين تفرغوا لمساعدة الناس العالقين، ومحتاجي المساندة.

وشكراً للجمعيات الخيرية والجمعيات التعاونية على مبادراتهم الرائعة.■

العم حمود الرومي..
هدوء العابد ووقار الداعية

كتب - سعد النشوان:

عند الحديث عن العم حمود الرومي، لا تسعفنا الكلمات أمام هذه القامة الدعوية التي كرّست حياتها في خدمة الدعوة الإسلامية والعمل الخيري والاجتماعي.

• سمو الأمير مستقبلاً العم حمود الرومي

ولادته ونشأته:

ولد العم حمود حمد صالح الرومي عام ١٩٣٨م في مدينة الكويت، وكان من سكان فريج (حي) الشملان، وانتقل جده مع العائلة للسكن بالقرب من مسجد «بن رومي» في دسمان.

وهو من أسرة محافظة، حيث درس جده لأمه العلم الشرعي على يد الشيخ عبدالعزيز العلجي من أهالي مدينة الأحساء، وحرص على تربيته التربية الإسلامية، وقال جده فيه شعراً:

وأما حمود ضننا فيه حسن
سوف يصير قرة العين إذاً

دراسته:

بدأ الدراسة على يد الملا سليمان الخنيني، وقرأ القرآن على الملا حسين شعيب من أهالي جزيرة فيلكا، ودرس لمدة عام واحد في مدرسة النجاة (مدرسة قديمة أنشئت بعد المدرسة المباركية).

ودرس بالمعهد الديني في الكويت حتى أتم الشهادة الثانوية بتفوق، وكانت هذه الشهادة تؤهل للدراسة بالأزهر أو كلية دار العلوم بالقاهرة التي التحق بها عام ١٩٥٨م، وبعدما أنهى دراسته عاد للكويت، وعمل في معهد المعلمين (كلية التربية الأساسية حالياً).

نشاطه الدعوي:

بدأ الرومي حياته الدعوية في جمعية الإرشاد عام ١٩٥٣م وهو في سن السادسة عشرة، وكان لعمه خالد الرومي الأثر الأكبر في دعوته لهذه الجمعية، الذي كان عضواً فيها، وقد أثرت التربية المحافظة لأسرته في اندماجه بجمعية الإرشاد.

وكان الرومي حريصاً على حضور الدروس الشرعية والفكرية، والمشاركة في المخيمات الربيعية لجمعية الإرشاد، ولكن دراسته بمصر أدت إلى انقطاعه عن الجمعية.

عضويته بمجلس الأمة:

دخل العم حمود الرومي المعترك السياسي عام ١٩٨١م؛ حيث ترشح للانتخابات عن الدائرة الخامسة في الفيحاء، ونجح فيها، وكذلك عام ١٩٨٥م، وله موقف مشهودة بالمجلس؛ حيث عارض تنقيح الدستور عام ١٩٨٢م، وفي عام ١٩٨٥م شارك في استجواب وزير العدل آنذاك سلمان الدعيج.

رئاسته لجمعية الإصلاح:

بعد وفاة العم عبدالله العلي المطوع، يرحمه الله تعالى، عام ٢٠٠٦م، تولى الرومي رئاسة الجمعية لمدة ١٢ عاماً، التي كانت امتداداً للعمل الذي سار عليه العم أبو بدر.

وخلال رئاسته لـ«الإصلاح»، عُدل النظام الأساسي للجمعية، وانتشر عمل اللجان، وحرص على مشاركة أبناء الجمعية بكل مسابقات القرآن الكريم التي تقيمها دولة الكويت.

وحصلت الجمعية على العديد من شهادات التقدير في العمل الخيري والدعوي في عهده.

وخلال توليه رئاسة جمعية الإصلاح، ظهرت دعوات لتحجيم العمل الخيري والاجتماعي؛ فواجهها بهدوئه وحكمته، وبحديثه الدائم: «ما دام عملكم لله تعالى فلا تخافوا».

ويرتبط العم حمود الرومي بعلاقة طيبة مع صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، وله عدة لقاءات مع سموه الذي أثنى فيها على جهوده في خدمة أهل الكويت ومن يعيشون على أرض هذه البلاد الطيبة.

إن تكريم العم حمود الرومي اعتراف بفضله وجهاده، فهو بعد ٦٥ عاماً أمضاها في خدمة العمل الدعوي والاجتماعي تمثلت فيها شخصيته الهادئة لتسير بالدعوة إلى بر الأمان.■

الواقع الصحي بالعالم الإسلامي

جاءت الأديان السماوية وفي مقدمتها الدين الإسلامي بمقاصد جليلة تسعى إلى تحقيق سعادة الإنسان؛ فكان من مقاصد شريعتنا الإسلامية حفظ الكليات الخمس الجوهرية في حياة الإنسان (الدين، والمال، والنفس، والعرض، والعقل)؛ ولذلك كانت مجمل التكاليف والتشريعات تصب غاياتها في تحقيق هذه المقاصد الأساسية بحياة الإنسان.

وتأخذ صحة الإنسان حظاً وافراً من التوجيهات والتشريعات التي من شأنها الحفاظ على جسد سليم، يتعاضد مع عقل سليم، ونفس قويمة؛ حتى يتحقق شرط الإنسان الصالح الذي يعمر الحياة، ويبني الأرض، ويحقق مراد الخالق من خلقه.

وفي هذا الملف، تسلط «المجتمع» الضوء على واقع القطاع الصحي في العالم الإسلامي، في محاولة منها لأن يتبوأ مكانه اللائق في سلم الأولويات التي حددتها الشريعة الغراء في مقاصدها.■

في ماليزيا.. الصحة بوابة النهضة الأولى

في المرتبة الخامسة والأربعين بين دول العالم من حيث تعداد السكان تقع ماليزيا بتعداد يبلغ ٣٢ مليون نسمة تقريباً، يعيشون على مساحة ٣٣٠ ألف كم مربع، وتتميز ماليزيا ببيئة صحية من حيث المناخ، فالثبات النسبي لدرجات الحرارة يحمي السكان من تقلبات الجو التي تتسبب في أماكن أخرى من العالم في كثير من الوعكات الصحية؛ حيث تتراوح درجات الحرارة طوال العام حول معدلات متقاربة بين ٢٨ و٣٨ درجة، لكن ارتفاع مستوى الرطوبة يشكل شعوراً بحرارة الجو بصورة أعلى من الدرجة الفعلية.

أحمد سليمان

يبلغ معدل النمو السكاني في ماليزيا ١,٧٪، وهو ما يجعلها في المرتبة ٧٤ عالمياً، ونتيجة لزيادة تعداد السكان وأعمارهم؛ فإن الحكومة تسعى دائماً لتطوير المشافي الحالية القائمة من خلال إعادة تجهيزها، وبناء وتجهيز مستشفيات جديدة، والتوسع في أعداد المستوصفات، وتحسين مجال التدريب والتوسع في الرعاية الصحية عن بُعد.

على مدى العقد الأخير، زادت وزارة الصحة الماليزية من جهودها لإصلاح النظم وجذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية.

وتبذل الحكومة الماليزية جهوداً كبيرة لتوسيع وتطوير خدمات الرعاية الصحية، فحسب الموازنة الأخيرة تنفق ماليزيا ٥٪ من الموازنة العامة على تطوير الرعاية الصحية، وذلك بزيادة ٤٧٪ عن ذي قبل؛ وهو ما يعني زيادة إجمالية قدرها أكثر من ملياري رينجيت ماليزي (نصف مليار دولار).

الأمهات والرضع

حسب تقرير منظمة الصحة العالمية عام ٢٠١٨م، سجلت ماليزيا في مؤشر وفيات الأمهات ٤٠ حالة من بين كل ١٠٠ ألف حالة ولادة، آخذين في الاعتبار عدد مرات الولادة المرتفع جداً بماليزيا مقارنة بأوروبا وأمريكا.

وطبقاً لآخر البيانات المتوافرة في الفترة من عام ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٧م، حققت ماليزيا رقماً متميزاً في عدد الولادات التي تتم على أيدي متخصصين مهرة؛ حيث إن ٩٩٪ من الولادات في ماليزيا تتم على أيدي أطباء متخصصين، ويرجع هذا إلى برنامج الحكومة في رعاية الأمهات الحوامل والمرضعات.

وفي تصريحات لـ«المجتمع»، يقول د. أكمل، وهو طبيب الاستقبال بمستشفى سيبرانجايا: من اليوم الأول لمعرفة الأم أنها حامل يفتح لها سجل في المستشفى المركزي والعيادة الأقرب لها، وعليها أن تتابع شهرياً مع طبيبة الولادة لعمل التحاليل الدورية وأخذ الأدوية اللازمة حسب نتائج التحاليل حتى تاريخ الولادة، ثم إجراء عملية الولادة الطبيعية أو القيصرية حسب الحاجة، كل هذا بتكلفة لا تزيد على ٢٥ دولاراً للماليزيات، وهو دعم هائل إذا ما قورن بثمن الخدمة التي تقدم للأجانب التي تتراوح بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠ دولار.

بعد الولادة يتم الفحص الطبي الشامل للأم والرضيع ومتابعة الحالة الصحية لهما، وتصرف من المستشفى بعد يومين إن لم تكن هناك حاجة للبقاء فترة أطول، ويحول ملف الأم والمولود إلى عيادة متخصصة لرعاية الصغار لمتابعتهما (الأم والمولود)، تبدأ هذه المتابعة بزيارة من المرشدة الأسرية للمنزل مرة في كل أسبوع للإشراف على

نظافة المنزل، وتوعية الأمهات الجديدات، وإرشاد الأمهات القدامى، ثم متابعة التطعيمات الدورية للمولود، أسفرت هذه الرعاية عن معدل منخفض لوفيات الرضع -وهو معيار تحديد الكفاءة العامة للرعاية الصحية- حيث بلغ ٨,٣ حالة لكل ألف طفل ولد حياً ليحتل المركز السابع آسيوياً، ومقارباً للمعدلات العالمية، ومتفوقاً على بعض الدول في أوروبا والأمريكتين.

مؤشرات الرعاية الصحية

نظرة سريعة على مؤشر «العمر المتوقع عند الولادة»، وهو أحد المؤشرات التي تستدل بها منظمات الصحة حول العالم لقياس تطور الخدمات الصحية، توضح لنا التطور الذي شهده القطاع الطبي، فقد ارتفع المؤشر من ٦٩ عام ٢٠٠٦م إلى ٧٣,٤ عام ٢٠١٨م.

وقد أسهمت التوعية الصحية والدينية في تراجع معدلات الإصابة بمرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) إلى مستوى قياسي، حيث سجلت ماليزيا (تقرير عام ٢٠١٧م) ٠,١٩ حالة لكل ١٠٠٠ من السكان غير المصابين، وقد مثلت المعدلات المرتفعة للإصابة قبل ١٠ سنوات من الآن معضلة حين وصلت حالات الإصابة إلى ٢٠ حالة لكل ١٠٠٠ من السكان غير المصابين، حسب تقرير منظمة الصحة العالمية عام ٢٠٠٨م.

وفي مرض الربو، على الرغم من انتشار عادة التدخين السيئة بين الماليزيين، فإن حالات الربو المسجلة وفقاً لتقرير عام ٢٠١٧م بلغت ٩٢ حالة لكل ١٠٠ ألف من السكان، مقارنة بأعداد وصلت إلى ٣٠٠ و٥٠٠ و٧٠٠ في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية.

وتولي وزارة الصحة الماليزية عناية فائقة لمتابعة المدارس والإشراف عليها؛ حيث يقوم فريق طبي متخصص بزيارة ميدانية مرتين سنوياً لكل مؤسسة تعليمية لإبداء الملاحظات، وتقييم المخاطر المحتملة، ويقدم تقريراً مفصلاً ترسل نسخة منه إلى وزارة الصحة، وأخرى إلى الإدارة التعليمية التابعة لها المؤسسة، وعلى المؤسسة أن تقوم بالتعديلات اللازمة حتى لا تتعرض للإغلاق والمساءلة.

أيضاً تقوم المستشفيات المتواجدة في محيط المؤسسات التعليمية برصد حالات الأمراض المعدية وعزل حالات العدوى ما دامت حالات فردية، فإن وصلت حالات العدوى إلى ظاهرة فإنها تقوم بإغلاق المؤسسة فترة من الزمن مع استمرار المتابعة والتقييم إلى أن تطمئن إلى الاستقرار الكامل.

ويتمتع الطلاب الماليزيون بنظام تأمين صحي شامل في كل مراحل التعليم، وهو مجاني

تنفق ٥٪ من الموازنة العامة على تطوير الرعاية الصحية بزيادة قدرها أكثر من ملياري رينجيت

التوعية الصحية والدينية أسهمت في تراجع معدلات الإصابة بالإيدز إلى مستوى قياسي

الطلاب يتمتعون بتأمين صحي شامل في كل مراحل التعليم وهو مجاني بمرحلة ما قبل الجامعي

تماماً بالنسبة للتعليم ما قبل الجامعي؛ حيث يكتفي الطالب بخطاب من المدرسة التابع لها ليتوجه إلى العيادة المتخصصة التي توجهه إلى الطبيب حسب الحالة في أربع درجات للخطورة (A،B،C،D)، حيث يتم التشخيص اللازم، ويصرف له العلاج، أو يتم تحويله إلى المستشفى المركزي في حالات العناية الفائقة والعمليات الجراحية.

لم أجد بين طلاب المدارس شكوى من جودة الخدمة؛ حيث يتلقون الخدمة في المستشفيات العامة بكافة أنواعها، وهي على درجة عالية من الكفاءة.

أما طلاب الجامعات، فتتوقف جودة الخدمة المقدمة على مستوى الجامعة؛ حيث قابلت بعض الطلاب كانوا راضين تماماً عن الخدمة الصحية التي يقدمها المستشفى الجامعي؛ لأن جامعاتهم خصصت جزءاً جيداً من مواردها لدعم المستشفى وتشغيله، مثل طلاب الجامعة الإسلامية العالمية، وجامعة ماليزيا للعلوم والتكنولوجيا، وغيرهما، وقابلت أيضاً بعض الطلاب في جامعات أخرى لا يتعاملون مطلقاً مع المستشفى الجامعي ويفضلون العيادات الخارجية الخاصة المدفوعة نظراً لتردي مستوى الخدمة من حيث كفاءة الفريق الطبي والأدوية المتاحة.

عقبات وحلول

يقوم القطاع الطبي عموماً على نظام فعال وعلى نطاق واسع من الرعاية الصحية، كما يوجد أيضاً قطاع صحي خاص، ويتطلب نظام الرعاية الصحية في ماليزيا من الأطباء أداء خدمة إلزامية لمدة خمس سنوات في المشافي الحكومية قبل السماح لهم بممارسة الطب في العيادات الخاصة؛ وذلك لضمان القوة العاملة في هذه المستشفيات والحفاظ عليها.

كما تم تشجيع الأطباء الأجانب في الآونة الأخيرة على العمل في ماليزيا، ولا يزال هناك مع ذلك نقص في القوى العاملة في المجال الطبي، لا سيما أن الاختصاصيين غالباً ما يتوافرون فقط في المدن الكبيرة، وقد تعطلت الجهود التي بذلت مؤخراً لتقديم الخدمات في مناطق أخرى بسبب قلة الخبرة في تشغيل المعدات المتاحة من الاستثمارات المقدمة.

توجد غالبية المستشفيات الخاصة في المناطق الحضرية وبوفرة، على عكس العديد من المستشفيات العامة، وهي مجهزة بأحدث مرافق التشخيص والتصوير، وكانت المستشفيات الخاصة عموماً لا ينظر لها على أنها مثالية للاستثمار، فقد تمر أحياناً عشر سنوات قبل أن تشهد أي أرباح، مع ذلك فقد تغير الوضع الآن وبدأت الشركات البحث في هذا المجال من جديد، لا سيما في ضوء الاهتمام المتزايد من قبل الأجانب في القدوم إلى ماليزيا لتلقي الرعاية الطبية؛ حيث تركز الحكومة مؤخراً على تطوير صناعة السياحة الطبية.■

استقرار الأوضاع السياسية منذ مطلع القرن الحالي أعطى الفرصة للحكومات للنهوض بقطاع الصحة

تركيا في مصاف الدول الكبرى بالتقدم الصحي

بلغ الواقع الصحي بتركيا في السنوات الأخيرة مستوى عالياً من التقدم الصحي والاجتماعي، وأصبحت تركيا مقصداً لعلاج العديد من الأمراض الأكثر انتشاراً وصعوبة في العالم، كما أخذت العلاجات الطبيعية والسياحية قسطاً وافراً من الاهتمام الرسمي والأهلي، فقامت الحكومة بتوسيع مرافقها الصحية العلاجية ومستشفياتها لتأمين العلاج لكافة المواطنين والضيوف والقادمين لتركيا بقصد العلاج والسياحة والاستثمار معاً، كما قامت الشركات الخاصة بتوسيع استثماراتها الطبية والعلاجية، وخاصة أن الطبيعة الجغرافية التركية توفر لها مواقع علاجية وسياحية راقية وخلابة.

محمد زاهد جول
كاتب وصحفي تركي

في السنوات الأخيرة، تطورت المرافق الصحية والمستشفيات والمراكز العلاجية التركية المتقدمة، وفتحت مراكزها العلاجية المتخصصة، فأصبحت مواقع العلاج الطبي والصحي على مواقع التواصل الاجتماعي، وتتواصل مع زوارها أو مرضاها عبر وسائل الإنترنت؛ بما يؤمن للزوار والمرضى المعلومات الكافية عن هذه المراكز وما فيها من تخصصات ونوعية العلاجات التي تقدمها.

هذا المستوى لم يكن هدفه الجانب التجاري المادي فقط، وإنما كان نتيجة توجه الحكومات التركية المتعاقبة لرفع مستوى قطاع الصحة منذ ٢٠ عاماً تقريباً؛ لأن الحكومات الحزبية التركية تتقدم في مشاريعها الانتخابية ببرامجها الصحية بما يرضي الجمهور، فلا تخلو أجندة حكومة منتخبة من برنامج صحي أولاً، ثم لا يخلو نقاش برلماني أو تقييم لعمل الحكومة بنفسها أو مساءلتها من المعارضة عن الواقع الصحي وما يتطلبه من تحسينات أو إصلاح، وهكذا يبقى الحديث الحكومي أو التنافس السياسي بين أعضاء البرلمان التركي لبحث الوضع الصحي، وما يواجهه من عقبات، وما يتطلبه من أعمال أو إجراءات لتطويره ليكون في مصاف المستوى العالمي بالدول المتقدمة، وبالأخص أن تركيا تشارك كل دول الاتحاد الأوروبي في مستويات الوضع الصحي بمعايير ومقاييس الجهات المختصة بأوروبا، وبالتأكيد وفق معايير منظمات الصحة العالمية وحقوق الإنسان في هذا المجال.

لقد استفاد الواقع الصحي من استقرار الأوضاع السياسية في تركيا منذ مطلع القرن الحالي، حيث إن الحكومات السياسية المتعاقبة منذ عام ٢٠٠٢م تواصل تنفيذ برامجها الاجتماعية والصحية، ومنها:

- تحقيق إنجازات بواسطة برنامج التغيير في الصحة، وتصحيح مقولة «الإنسان قبل كل شيء» إلى «الصحة للجميع»،

وهـذا مـا حقق تغيـراً هـائـلاً ضخماً.

– تحسنت المؤشرات الصحية بسرعة، وبشكل لا مثيل له في العالم، فقد حققت الحكومة مثالاً عالمياً للنجاح، وثبت أن تركيا تستطيع أن تتجاوز كافة العوائق وتحقق أهدافها.

– الخدمات الصحية باتت متوافرة من قبل الدولة لكافة المواطنين سواء كانوا أغنياء أو فقراء دون تمييز.

– تقدمت تركيا بخطوات كبيرة لتسهيل معيشة الشعب، وتم توحيد كافة مستشفيات المؤسسات العامة تحت مظلة واحدة.

– إعطاء بطاقات خدمة الصحة المجانية إلى المواطنين ذوي الدخل المحدود، وتكفلت الدولة بتحمل تكاليف العلاج والأدوية، وبذلك تم تحريرهم من المصحات الخاصة، وإنقاذهم من التكاليف الصحية المرتفعة التي تثقل كاهلهم.

– تم تخفيض أسعار الأدوية؛ مما خفف أعباء الإدارة العامة والمواطن بشكل كبير.

– أمنت خدمة (١١٢) الطوارئ ليس في المدن فقط بل حتى في القرى، وأضافت إلى ذلك وسائل النقل البري والبحري.

– وصلت مؤشرات مكافحة الأمراض المعدية إلى مؤشرات الدول المتقدمة.

– قامت الحكومة بحملة المقاومة الوطنية ضد التدخين والبدانة وعدم الحركة، وحققت تركيا رتبة متقدمة في مكافحة التدخين على المستوى الدولي.

– اعتبرت المناطق التي تنقص فيها الأدوات والكوادر الطبية منطقة أولية، وحققت الحكومة نجاحاً بالقضاء على عدم التوازن في هذا المجال.

– كانت الخدمات الصحية تقدم في مسقوفات تبلغ مساحتها ٧ ملايين متر مربع منذ ٧٠ عاماً، وأضافت الحكومة إلى ذلك ٧ ملايين متر مربع أخرى، وقد شيدت الحكومة مستشفيات ذات جودة عالية.

– بواسطة برنامج «التغير في الصحة»، تم استخدام الموارد الصحية العامة بشكل مثمر، رغم التغير الهائل، حيث إن الزيادة غير الربحية للمصاريف للإدارة العامة بين عامي ٢٠٠٣ – ٢٠١١م كانت ٢٦٥٪، وكانت حصة المصاريف الصحية ٢٢٥٪، وبذلك تم تشكيل نظام صحي مستدام اقتصادياً.

– زادت مصاريف خدمات الصحة المعمولة في السنوات العشر الأخيرة بنسبة ١٣٠٠٪، وانخفضت نسبة المصاريف الصحية الصادرة من المواطن بشكل كبير، وارتفعت نسبة الرضا عن الخدمات الصحية من ٣٩٪ عام ٢٠٠٣ إلى ٧٦٪ خلال سنوات قليلة.

– وجد برنامج «التغير في الصحة» قبولاً عالمياً، وتم تطبيقه في الدول الأخرى كذلك، حيث أعلنت منظمة الصحة العالمية وغيرها من المنظمات الدولية أن إصلاحات تركيا في مجال الصحة يعتبر درساً للدول الأخرى.

– يعتبر التغير بمجال الصحة في ظل الحكومات التركية منذ عام ٢٠٠٢م وحتى اليوم نموذجاً فريداً على المستوى الدولي؛ ما جعل تركيا ضمن الدول الكبرى التي تحدد جدول أعمال مجال الصحة العالمية.

إن الرؤية الحكومية التي تنطلق بها حكومات تركيا هي أن الواقع الصحي يعتبر نهضة متكاملة وليس في مجال صحة الفرد فقط، وإنما هو مشروع نهضة في الصحة الاجتماعية العامة، وهذا يقوم على أن للدولة والحكومة وظيفة اجتماعية متكاملة، وأن الخطة التي ينبغي أن توضع للارتقاء بالواقع الصحي التركي ينبغي أن يكون على أساس الصحة الاجتماعية أولاً، وتنظيم التأمين الاجتماعي الذي يشمل كل المواطنين دون استثناء ثانياً، لأن وظيفة الدولة خدمة كل المواطنين وليس بعضهم.

إحصاءات وأرقام

وقد تحقق في ظل حكومات حزب العدالة والتنمية بقطاع الصحة الإنجازات التالية:

١- البدء بالتأمين الصحي العام، فقد تم تأمين كل مواطني تركيا في العقدين الماضيين.

٢- زيادة ميزانية قطاع الصحة ٨ أضعاف (من ٤ مليارات و٥٧٦ مليون ليرة عام ٢٠٠١م إلى ٣٢ ملياراً و٨٠ مليوناً عام ٢٠١٠م)، وقد زادت أكثر من مرة في السنوات الأخيرة.

٣- أنهت الحكومة معاناة المرضى الراقدين بالمستشفيات الذين كانوا يبحثون عن الدواء في الصيدليات، وستقوم المستشفيات بتزويدهم بالدواء بعد الآن.

٤- انتشار مراكز الطب العدلي في مختلف أنحاء تركيا، فهذه المراكز لم تكن موجودة إلا في بعض المدن الكبرى؛ مثل إسطنبول وأنقرة وأضنه وبورصا وأزمير وملاطيا وطرابزون وديار بكر، ومن أجل تحقيق سرعة أكبر في ضمان العدل قامت حكومة العدالة والتنمية بإنشاء مديريات الطب العدلي في ٤٠ ولاية أخرى، و١٦ بلدة تابعة لإسطنبول.

هكذا بلغ القطاع الصحي التركي مستوى عالياً بين دول العالم، حيث بلغ الدرجة الثالثة –وفق بعض الإحصاءات الطبية– بين دول العالم، وهذا بفضل السياسة الصحية التي اتبعتها الحكومات التركية، وما قدمته من تشريعات وتسهيلات للقطاع الصحي الخاص، والمساهمات التكنولوجية والمهنية، وكذلك الجامعات والمؤسسات التدريبية المتقدمة، وتوافر أطباء على مستوى عالٍ من التعليم والخبرة والتشخيص والعلاج، وقد بلغ عدد من يأتون للعلاج في السنوات الأخيرة نحو ١٥٠ ألف مريض من خارج تركيا، وهذا بفضل التزام الدولة التركية بجميع الاتفاقات الصحية الدولية.■

AK PARTİ

من إنجازات حكومات «العدالة والتنمية»:

- **التأمين الصحي على كل المواطنين**
- **زيادة ميزانية الصحة ٨ أضعاف (٢٠٠٢ - ٢٠١٠م) من ٤ مليارات و٥٧٦ مليون ليرة إلى ٣٢ ملياراً و٨٠ مليوناً**
- **تقديم الدواء لكل المرضى فقراء وأغنياء**

تقع على عاتق الدول والحكومات مسؤوليات جسيمة في خدمة مواطنيها، والمحافظة على صحتهم، وتوفير الخدمات الأساسية التي من شأنها الارتقاء بمستواهم الصحي الذي يجعلهم قادرين على الحياة بشكل سليم، وأداء واجباتهم الفردية والاجتماعية، على الوجه الأكمل، ليكون كل منهم عنصراً فاعلاً في المجتمع، وليس كائناً خاملاً، ورقماً صحيحاً لا رقماً سالباً؛ ولذلك ترصد الحكومات ميزانيات كبيرة للعناية بصحة مواطنيها.

اليمن.. صرخة إنسانية واستفاثة صحية

أ.د. عبدالحميد الحسامي
أكاديمي يمني

إذا نظرنا إلى الوضع الصحي باليمن في اللحظة الراهنة، نجد أنه وضع مأساوي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لعدة اعتبارات:

الأول: أن اليمن يعيش حالة كارثية مركبة، بسبب الحرب التي أدت إلى أن يكون الوضع العام استثناء، ناهيك عن الوضع الصحي؛ فالحرب تكاد تبلغ ٤ سنوات عجافاً، أكلن الأخضر واليابس في حياة الإنسان اليمني -الذي كان وضعه الصحي قبل الحرب، في الأساس، متدهوراً إلى حد كبير- ولا شك أنه كلما امتد زمن الحرب اتسعت شريحة الفقراء، وكلما اتسعت شريحة الفقراء تدهور الوضع الصحي، واتسع الخرق على الراتق، ففي ظل الحرب انتشر الكثير من الأوبئة التي أودت بحياة الكثير من أبناء اليمن، خاصة الأطفال الذين توفي منهم مئات الآلاف بسبب أمراض فتاكة كالكوليرا، والجدري، وحمى الضنك، والملاريا، هذه الأوبئة التي ودعتها الشعوب المتقدمة، ولم تعد حاضرة في قاموس المؤسسات العالمية المعنية بالصحة، ولا ضمن قائمة اهتماماتها.

الثاني: أن الحرب أدت إلى تدمير كثير من المؤسسات الصحية، وهو ما أدى إلى تعطيل المؤسسات المعنية بعلاج المرضى؛ وذلك أدى بالتبعية إلى تفاقم الوضع الصحي على وجه لم يشهده اليمن منذ عقود تقريباً، فقد أظهر مسح في عام ٢٠١٦م، حول النظام الصحي في اليمن، أجرته منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة العامة والسكان، أن أكثر من نصف المرافق الصحية في البلاد إما أغلقت أبوابها أو ما تزال تعمل بجزء من طاقتها، وأن هناك نقصاً حاداً في عدد الأطباء بأكثر من ٤٠٪ من المديريات.

الثالث: أن الحرب أدت إلى توقف رواتب الموظفين، ولا شك أن الراتب في المجتمع اليمني عصب الحياة للمجتمع؛ لأن التأمين الطبي غير متوافر، والعلاج لا يتأتى لمن لا يمتلك المال الكافي للعلاج ومواجهة الحياة، فكيف يقوم المواطن اليمني بعلاج من يعول؟ إنها لمعادلة جد صعبة، وما أقسى أن يداهمك مرض، أو أن تصاب بإصابة من نوع ما ولا تجد وسيلة تقلك إلى مؤسسة علاجية! هذا إن وجدت تلك المؤسسة، أو توافرت العلاجات اللازمة فيها.

الرابع: أن عدداً من المدن تعرض للحصار فضلاً عن الحرب، ومنها مدينة تعز، المدينة الأكثر في عدد السكان على مستوى اليمن، التي لا تزال ترزح تحت حصار جائر؛ وذلك أدى إلى صعوبة مواجهة الحياة برمتها، فضلاً عن الوضع الصحي، فقد حال الحصارُ دون وصول الخدمات الصحية التي تقدمها المنظمات الإنسانية، وتعذر القدرة على إسعاف المرضى إلى المراكز الصحية القريبة، فالمصابون من الجرحى أو من سواهم لا يستطيعون حيلة، ويواجهون الموت وهم على عربات تنتقل بهم بين سلاسل جبلية وعرة لا توصلهم لمدينة قريبة مثل مدينة عدن عبر منفذ واحد ووحيد إلا بعد مشاق، وربما فارق أحدهم الحياة قبل وصوله.

الخامس: أن الحرب أدت إلى تعرض المدنيين للموت، والإصابات التي تزيد من تعقيد الوضع الصحي، فهناك الآلاف من المصابين بإصابات بالغة يعانون معاناة شديدة من تلك الإصابات التي تقف أمامها المؤسسات العاملة في الميدان عاجزة عن التعامل معها نظراً لتعقيد نوعيتها، ولكثرة

أكثر من نصف المرافق الصحية إما أغلقت أبوابها أو تعمل بجزء من طاقتها

الحرب تسببت في كثير من الحالات المرضية النفسية وخاصة لدى الأطفال

أعدادها، ولقلة الميزانيات المخصصة لها.

السادس: أن الحرب أدت إلى كثير من النتائج النفسية التي أدت إلى ظهور حالات مرضية نفسية وبخاصة لدى الأطفال، فالحرب لا تلد إلا الدمار على كل صعيد.

السابع: أن الريف اليمني ما يزال ذا حضور كبير في التركيبة السكانية، ويعد الريف البعيد زاوية منسية عن أنظار المؤسسات المحلية، والمؤسسات الدولية التي تحاول أن تمد أكف الخير، وتقوم بواجبها الإنساني، وهناك في أقاصي الريف اليمني مشاهد محزنة من الفقر، وسوء التغذية، وتدهور الحالة الصحية.

حلول علاجية

إن هذا الوضع الصحي المتفاقم يقتضي أن تنهض مؤسسات المجتمع الدولي، وكذلك دول الجوار المتمثلة بدول مجلس التعاون الخليجي، بمسؤولياتها الدينية والإنسانية والأخلاقية في تلافي هذا الوضع الكارثي باليمن، والحد من تفشي الأمراض الفتاكة التي تعصف بالمجتمع اليمني من خلال عدد من الأمور، أهمها:

- العمل على إعادة الدولة ومؤسساتها، وتعزيز موقع الحكومة الشرعية في تثبيت دعائم وجودها في المدن المحررة، والعمل على تعزيز الخدمات الصحية فيها.
- تكثيف دعم المؤسسات الخيرية العاملة في الميدان لمضاعفة جهدها في الخدمات الصحية، ونقل المرضى من أصحاب الحالات المستعصية إلى مشافٍ متقدمة.
- إنشاء المستشفيات والمستوصفات والمخيمات الطبية تعويضاً عن المستشفيات التي تم تدميرها، وإصلاح ما يمكن أن يتم إصلاحه لكي تقوم تلك المؤسسات بدورها في تخفيف معاناة الأطفال والمرضى عموماً.
- إرسال الطواقم الطبية إلى المناطق المحاصرة، وتزويدها بالمستلزمات الطبية المطلوبة، والعلاجات الخاصة بالحالات الإسعافية.
- الاهتمام بالنازحين من مدنهم وقراهم بسبب الحرب، وتزويد مخيمات نزوحهم بخدمات صحية كافية، ومراكز رعاية مؤهلة حتى تتم عملية علاجهم وتحصينهم من الأمراض المتفشية.
- توجيه العناية لقطاعات الريف البعيدة التي تنهشها الأمراض، وتتفشى فيها الأوبئة القاتلة، ونقص التغذية.
- الاهتمام بعلاج الطفولة ورعايتها، وتقديم اللقاحات المطلوبة التي تدرأ عنها الأمراض الخطيرة القاتلة، فبسبب من الوضع الراهن تدهورت الحالة الصحية للأطفال بشكل مريع.

كل ١٠ دقائق يموت طفل يمني بالأمراض من ١١ مليون طفل بحاجة ماسة للمساعدات الإنسانية

البلاد تعيش حالة كارثية مركبة بسبب الحرب المأساوية

وفي ذلك يقول أحد المسؤولين الأمميين، قبل عام تقريباً: أجد أنه من الإنصاف القول: إن اليمن هو من أسوأ الأماكن على وجه الأرض بالنسبة للأطفال، فهناك أكثر من ١١ مليون طفل يمني اليوم بحاجة ماسة للمساعدات الإنسانية لإنقاذ حياتهم المأساوية التي تستدعي التدخل العاجل، وهناك كل ١٠ دقائق حالة وفاة من الأطفال بسبب الأمراض المتفشية، وإذا كان هذا الأمر قد قيل قبل عام فكيف هو وضع الأطفال اليوم؟!

إن الاهتمام بالطفولة هو اهتمام بالمستقبل؛ حتى لا ينشأ جيل قادم محروم من الصحة والتعليم في آن واحد، هذا إذا كتبت له الحياة، ورحم الله الشاعر العيسى إذ يقول:

وللطفولة أبواب السماء فإن
ضاقت بها فلماذا الشمس والقمر؟

إن الوضع الصحي في اليمن يتدهور كل يوم، ولا شك أن استمرار الحرب يعد استمراراً طبيعياً لنتائجها التي تترتب عليها، فقد عَلِمَ اليمنيون من الحرب ما علموا، وذاقوا منها ما ذاقوا، وإن قال زهير بن أبي سلمى قديماً:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتمُ
وما هي عنكم بالحديث المرجم

إن قال ذلك مخاطباً قومه، فإن الشعب اليمني اليوم -بلسان حاله- لزهير: إننا فهمنا تماماً ما تعنيه فذقنا الأمرّين، وصار الوضع الصحي في اليمن -بسبب الحرب- في شفا جرف هارٍ، وليس على شفاه.

إن هناك مسؤولية جسيمة تقع على النخبة السياسية في اليمن لتقوم بدورها في إيقاف الحرب، والنظر بمسؤولية لما ينجم عنها من مآسٍ إنسانية مدمرة للحاضر والمستقبل، وهي المسؤولية التي تقع على عاتق دول الجوار، والعالم برمته، فالموت هو الأكثر حضوراً والأكثر فاعلية في المشهد الصحي باليمن، وهناك واجب أخلاقي وإنساني يقع على عاتق الأمم المتحدة، ومنظمة الصحة العالمية، وهو واجب أخوي وديني وأخلاقي يقع على عاتق دول الجوار في العمل الجاد لتخفيف معاناة بشر هناك يقطنون اليمن.■

قال الناطق باسم وزارة الصحة الفلسطينية في قطاع غزة د. أشرف القدرة: إن القطاع الصحي يواجه وضعاً حرجاً نتيجة الحصار الصهيوني المتواصل منذ ١٢ عاماً، مشيراً إلى أن ٥٠٪ من مخازن الأدوية بات رصيدها صفراً، ونحو ٧ آلاف مريض يتهددهم الموت نتيجة نفاد الأدوية.

وأكد القدرة أن الاحتلال تسبب في انهيار عمليات تطوير القطاعات الصحية، كما أن إغلاق المعابر نتج عنه عدم قدرة ٦٠٪ من المرضى من تلقي العلاج خارج مستشفيات القطاع التي تواجه وضعاً حرجاً ونقصاً كبيراً في الأدوية والمستلزمات الطبية.

الناطق باسم وزارة الصحة في غزة د. أشرف القدرة لـ«المجتمع»:

الحصار الصهيوني لغزة أنهك القطاع الصحي

فلسطين – مها العواودة:

● بداية، حدثنا عن واقع القطاع الصحي في قطاع غزة بعد مرور ١٢ عاماً على حصار الاحتلال له.

– الواقع الصحي في قطاع غزة يعاني من الحصار الصهيوني للعام الثاني عشر على التوالي، هناك تقويض ممنهج للحياة الصحية من قبل الاحتلال التي يحتاجها نحو مليوني مواطن في القطاع؛ الأمر الذي أوجد حالة من العوز المستمر للأدوية والمستهلكات الطبية، وصولاً لغياب ٥٠٪ من الأدوية التي باتت غير متوافرة في المراكز الصحية، إضافة إلى ٣٠٪ من المستهلكات الطبية وهي غير متوافرة حالياً، وهذا أثر سلباً على الخدمات الصحية التي يتلقاها المواطن الفلسطيني، لا سيما ما يتعلق بأمراض الأورام وسرطان الدم، حيث إن ٧٥٪ من الأدوية المتعلقة بهذه الأمراض المستعصية غير متوافرة.

● هل تقصد أن هناك آلاف المرضى بات يتهددهم الموت في ظل عدم توافر الأدوية والمستلزمات الطبية؟

– هناك ٧ آلاف مريض في قطاع غزة يعانون من فقدان الأدوية الخاصة بهم، إضافة لمرضى الفشل الكلوي وزراعة الكلى هناك أكثر من ٢٥٪ من أدويتهم غير متوافرة؛ الأمر الذي يهدد حياتهم، وهذا يسبب لهم معاناة مستمرة وصراعاً مع المرض، كما أن جلسات الأورام غير متوافرة، فالوقع مرير وخطير بحيث لا يمكن وصفه!

● عمليات التصعيد المستمرة من قبل الاحتلال، والاستهداف المباشر لمسيرات العودة، هذا بالتأكيد تسبب بعجز في الأدوية بالمستشفيات.

– ٧٠٪ من أدوية الرعاية الأولية والأمراض المختلفة غير متوافرة، عوضاً على النقص الشديد بأدوية الطوارئ في ظل التصعيد الصهيوني المستمر ضد القطاع، وفاقم الوضع أكثر الاستهداف المستمر لمسيرات العودة من قبل الاحتلال، وإصابة أكثر من ٢٣ ألف فلسطيني بجروح؛ مما أربك القطاع الصحي في غزة، خاصة وأن الاحتلال يستخدم أسلحة محرمة دولياً في استهداف المشاركين بمسيرات العودة تسببت –في كثير من

الأحيان- بحالات بتر للأطراف، وتقطع في الأوردة، ولدينا الكثير من الأدلة على استخدام الاحتلال لهذه الأسلحة ضد مسيرات العودة، وبتنا غير قادرين في الوضع الحالي على مواجهة الحالة الصحية نتيجة النقص الحاد في الأدوية والكوادر الطبية المؤهلة.

● بخصوص منع الاحتلال لمرضى غزة من العلاج في الخارج، ما خطورة ذلك على حياة المرضى؟

- هناك أكثر من ٦٠٪ من المرضى يمنعهم الاحتلال من مغادرة القطاع لتلقي العلاج في مستشفيات الخارج والضفة المحتلة لدواعٍ غير مبررة، إضافة إلى أن الاحتلال يمنع إدخال الوقود للمستشفيات في ظل انقطاع الكهرباء، وهناك منع مستمر لدخول قطع الغيار التي تحتاجها الأجهزة الطبية للصيانة في المستشفيات، وهذا تسبب في تعطل ٣٥٠ جهازاً طبياً في المراكز الصحية، وباتت تلك الأجهزة متوقفة عن العمل وخارج الخدمة بسبب الأعطال.

● ما أثر الحصار الصهيوني على القطاع الصحي الذي عزلكم ومنع تواصلكم مع العالم؟

- الحصار تسبب في فجوة كبيرة بالخدمات الصحية مقارنة بالخارج، كما أن الاحتلال يمنع إدخال أجهزة طبية للمستشفيات، والفرق الطبية الأجنبية ممنوعة من الدخول بحرية لغزة لمساعدة القطاع الصحي المنهار.

هناك مشكلة حقيقية تتعلق بتنمية الكوادر الطبية الفلسطينية في غزة، حيث يمنع الاحتلال مغادرة الطواقم الطبية للمشاركة في دورات تدريبية وتأهيلية في الخارج، والاطلاع على التقدم العالمي بالمجال الطبي، وتم عزلنا عن العالم ولم نعد نشارك في مؤتمرات طبية نحن بحاجة لها من أجل الاستفادة من خبرات الآخرين.

● ما الجانب الإيجابي الذي استفدتم منه خلال الحصار؟ وما إسهامات الأشقاء العرب والأصدقاء في المجال الطبي؟

- في ظل هذا الحصار باتت هناك قدرات طبية للتكيف مع هذا الواقع المرير، وقد بدأت وزارة الصحة منذ عام ٢٠٠٦م باتخاذ إجراءات في محاولة لاستقرار منظومة الخدمات الصحية، واستجلاب العديد من الطاقات البشرية، وكان لها الأثر في افتتاح العديد من المراكز الصحية، لا سيما جراحة الأوعية الدموية والمخ والأعصاب والقلب المفتوح والقسطرة العلاجية والتشخيصية وجراحات العظام والعيون، وهذه الجراحات بدأت تُجرى في قطاع غزة؛ مما خفف الكثير على المرضى، وهناك العديد من الخدمات التشخيصية المفقودة تم توفيرها -بحمد الله- من خلال مساهمات المراكز والمؤسسات العربية والإسلامية، وهذا خفف من معاناة القطاع الصحي، لكن حالة العوز ما زالت شديدة، ووزارة الصحة تعمل حالياً بنظام إطفاء الحرائق لمنع القطاع الصحي من الانهيار بالكامل وإدارة الأزمات وفق الإمكانات المتاحة.

نواجه عجزاً حاداً في الأدوية.. ومرضى السرطان والكلى يتهددهم الموت

٦٠٪ من المرضى يحرمهم الاحتلال من العلاج في الخارج

● كم تقدر احتياجات وزارة الصحة في قطاع غزة؟

- نحتاج على مستوى الأدوية سنوياً نحو ٤٠ مليون دولار لسد حاجتنا، ونحتاج شهرياً نحو ٩٥٠ ألف لتر من الوقود لتشغيل المولدات الكهربائية، إضافة للحاجة لتجهيزات إنشائية للمراكز الصحية المختلفة، وبناء مستشفيات جديدة مثل مستشفى رفح وغيره من المستشفيات لمواكبة التقدم في مجال الخدمات الطبية، وفتح مراكز طبية جديدة تخفف من أعباء العلاج في الخارج للمواطنين في غزة، من خلال الطواقم الطبية والخدمات المتنوعة التي هم بأمسّ الحاجة إليها.

هناك تقويض للقطاع الصحي من قبل الاحتلال، وهذا يدفعنا لمناشدة المجتمع الدولي لرفع الحصار عن القطاع، كل مريض لا يوجد له علاج يجب أن يحصل على العلاج.

● حدثنا عن الخدمات الطبية المقدمة من الكويت، وما أثر ذلك عليكم؟

- الكويت حاضنة للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وهي منذ بدايات الثورة الفلسطينية تقوم بواجبها الأخلاقي والإنساني تجاه الشعب الفلسطيني والخدمات التي يحتاجها المواطن، هناك الكثير من بصمات الخير لدولة الكويت خاصة في المجال الصحي على مستوى الإنشاءات ودعم الصندوق الكويتي للخدمات الطبية المتنوعة، والمساهمة - كذلك- في شراء الأجهزة الطبية، هناك مجمع الولادة الذي شرع في بنائه من قبل الكويت، ويقع هذا المجمع ضمن مستشفى الشفاء بمدينة غزة، وهو منحة أميرية، وهذا المستشفى سيكون له الأثر الكبير على النساء في خدمات الولادة والحضانة، ويعتبر من المشاريع الحيوية الضخمة التي نتشرف ببنائها من خلال دولة الكويت الشقيقة، وسترفع المعاناة عن النساء الفلسطينيات.

● كيف تناشد المؤسسات الطبية الدولية في ظل الواقع الصحي بغزة؟

- ندعو كافة القطاعات الصحية في العالم، ومنها منظمة «يونيسف»، و«الصحة العالمية»، لمد جسور المساعدة للقطاع الصحي في غزة ومنعه من الانهيار، وتقديم الخدمة اللائقة للمرضى، حيث إن الوضع حرج للغاية، ويتطلب من كل الأشقاء والأصدقاء مد يد العون لمرضى غزة الذين هم بأمسّ الحاجة للعلاج والدواء المفقود في مستشفيات القطاع، على العالم أن ينظر لمرضى غزة بشكل سريع، فنحن كل يوم نودع مرضى قضوا بسبب التأخر في العلاج نتيجة الحصار أو نقص الأدوية.■

د. عبدالله الكريوني، أمين عام مساعد نقابة أطباء مصر سابقاً، وعضو اللجنة النقابية الوزارية في الفترة من عام ٢٠١٢ إلى ٢٠١٣م، وأحد الناشطين النقابيين البارزين في المشهد الطبي، الذين هاجروا ضمن هجرة أطباء كثيرين من مصر إلى الخارج للبحث عن حياة أفضل.

وضعت «المجتمع» على طاولة حوار تميَّز بالصراحة والمكاشفة معه كافة المؤشرات التي توضح الملف الطبي والصحي في مصر وما آل إليه هذا القطاع الحيوي والمهم.

أمين عام مساعد نقابة أطباء مصر سابقاً د. عبدالله الكريوني لـ«المجتمع»:

مشروع التأمين الصحي يترك الفقراء للموت.. والأطباء ضحايا كالمرضى

حاوره - براء ماجد:

الإنفاق الصحي لا يتعدى ٣٪ ولا توجد سياسات صحية احترافية تسمح بخدمة معقولة

● تتحدث تقارير كثيرة عن تردي الوضع الصحي في مصر، فما السبب؟

– أرى أن السبب الرئيس يعود إلى عدم الاهتمام الكافي بهذا الملف؛ حيث إن الإنفاق الصحي في مصر لا يتعدى ٣٪، رغم أن الحد الأدنى المقبول عالمياً هو النسب التي تتراوح من ١٠ إلى ١٥٪، وهو ما ظهر بشكل فج وقاس في الموازنة المالية، فضلاً عن أنه لا توجد سياسات صحية في مصر بالشكل الاحترافي الذي يسمح بخدمة صحية معقولة، تمثل الحد الأدنى لحاجة أكبر قطاع من المواطنين في مصر؛ وبالتالي سيستمر الوضع من سيئ إلى أسوأ ما دامت نسبة الإنفاق ضئيلة، ولم توضع سياسات مناسبة جديرة بآمال المواطنين وحقوقهم.

● في هذا الإطار، كيف ترى الوضع بالنسبة للمريض الفقير، ومستوى وصول الخدمة الصحية له؟

– الوضع صعب بلا شك؛ فهناك ما يزيد على ٥٠٪ من الشعب، وفق أقل التقديرات غير الرسمية، لا يأخذ حقه في العلاج والرعاية الصحية، وهو ما يعتبر من أبرز المشكلات –من وجهة نظري– التي تهدد الأمن القومي المصري، فعلى الدول أن تنظر للصحة كأمن قومي، وتعتبر أن الحفاظ عليها من درجات الحفاظ على الأمن الوطني، لكنه لا يحدث للأسف، ونتيجة لذلك يحدث تردّ في مستوى الخدمة الصحية، ويضيع حق المصريين في العلاج، وحق الفقير منهم على الأخص ينحصر في الاختيار بين الموت أو الموت؛ فالعلاج بات حلماً والقبر بات أقرب له!

● ما تقييمك للمستشفيات والخدمات الإنسانية والصحية التي تقدمها للمصريين؟

– المستشفيات في مصر باتت غير قادرة على تلبية حاجات المواطنين، وبالتالي تقل الخدمة في الكم والكيف؛ فالمستشفى الذي يستطيع تقديم خدمة إلى ٢٠٠ مواطن

تفاجأ بقدوم ٤٠٠، فضلاً عن أن الخدمة في الأماكن النائية لا تصل لأسباب كثيرة، منها هجرة الأطباء بعدما ضاقوا ذرعاً بما يحدث من تربص وإهمال ممنهج ضدهم.

ويضاف إلى ذلك، تردي الأجهزة، وعدم وجود صيانة أو مستلزمات كافية، وعدم وجود أسرّة عناية مركزة أو أقسام حروق كافية أو حضانات تكفي، وهذه مشكلات كبيرة وجوهرية تهدد حياة المواطنين، وفاتورة باهظة يدفعها المواطن الفقير من حياته وحياة أبنائه.

● لكن البعض يتحدث عن الإهمال الطبي، ويتهمكم أنتم كأطباء، من برأيكم يتحمل فاتورة هذا الإهمال؟

– أختلف تماماً مع هذا الاتهام، الأطباء ضحية في مصر كالمرضى، حيث لا يوجد أي اهتمام حقيقي بالمنظومة الصحية، ولا تعطى أي نسبة معقولة من الدخل القومي لهذا الملف الخطير، وتهدر أموال الدولة في أشياء ليست ذات أولوية، بجانب عدم التوازن في الإنفاق، والتركيز على ضخ الإنفاق على القطاعات الخاصة أكثر من القطاعات الخدمية، كل ذلك وغيره أدى إلى قتل بطيء للمرضى وتهجير ممنهج للأطباء الذين لن يرضوا بهذا الوضع المشين للأبد.

● إذن، أين دور نقابة الأطباء؟ وكيف تراه في ظل تجاهل الحكومة لها، بل بدء حملة تشويه للأطباء كما أعلنت النقابة العامة؟

– للأسف، النقابة ككل مؤسسات المجتمع المدني ليس لديها أي قدرة على المواجهة أو التصحيح في ظل الوضع الحالي، ولكن هذا لا يعفيها من المسؤولية في ظل أداء باهت جداً.

نقابة الأطباء باتت عاجزة عن الدفاع عن حقوق أعضائها، وبالتالي فانتظار دفاعها عن وجود خدمة صحية جيدة أو موازنة معقولة أو مستشفيات لائقة طبياً أو كافية عددياً أمر بعيد نوعاً ما، بسبب الشلل النقابي الذي لا يمكن نزعه من السياق العام.

ولكن المرصود أن الحكومة التي تتجاهل حقوق الأطباء والمرضى معاً لم تعجب بذلك أو تكتف به، فقد دشنت عبر أجهزة رسمية حملة غير مبررة ضد الأطباء، وصلت إلى إنتاج بعض الإعلانات التي تنشر على قنوات الدولة للتشويه والإساءة للأطباء.

● الحكومة تتحدث عن إقرارها مشروعاً للتأمين الصحي لكل المصريين سيأخذ ١٥ سنة للتطبيق على كل الجمهورية، أليس هذا كافياً؟!

– ذلك من المضحكات المبكيات! فهو مشروع لذر الرماد في العيون، ولا يحقق أي مطالب شعبية، وغير معقول أن ينتظر الشعب ١٥ سنة حتى يستحق خدمة صحية هي حق أصيل له في ظل الضرائب المدفوعة للدولة، وغير معقول أن تعلن حكومة ما خطة تستوعب تغيير السلطة السياسية ٤ مرات في حال وجود تداول للسلطة وانتخابات حقيقية، وبالتالي فالفشل مصير المشروع في ظل وجود هكذا إرادة سياسية غير مهتمة بالمرضى.

وعدم وجود قدرة مالية في الموازنة تستوعب أي تطوير للملف الصحي، يعني استمرار موت الفقراء الذين عليهم الانتظار ١٥ سنة حتى يصل لهم المشروع أو يصل لهم ملك الموت قبله في ظل الحملة غير المسبوقة على العمل الطبي الأهلي ضمن حملات الحكومة ضد المجتمع المدني!

● هل تقصد تأميم العمل الطبي الإسلامي بعد الأزمة السياسية؟ كيف ترى ما حدث في هذا المجال من مصادرة وتأميم؟

– بالطبع، هناك جريمة تمت بعد عام ٢٠١٣م، استهدفت العمل الطبي الأهلي، وهو ما كان سبباً رئيساً في زيادة معاناة المرضى خاصة الفقراء منهم حيث كانت مستشفيات الجمعية الطبية الإسلامية تتحمل جزءاً كبيراً من عبء تقديم الخدمة الصحية عبر إدارات ذات كفاءات عالية ومدربة، وهو ما كان في السابق يساهم في حل كثير من مشكلات الصحة بما كانت تقدمه من خدمات مميزة بأسعار مخفضة، ولكن للأسف أصبح المواطن –والفقير خاصة– هو الذي يدفع فاتورة ذلك، خاصة أن مستشفيات الحكومة لا تتحمل نتيجة هذا الفراغ، ولا تستطيع تقديم مزيد من الخدمات الصحية، وأكرر أن الضحية هو المواطن المريض الفقير وليس أي طرف آخر.

● ولكنْ، زملاؤكم وأعضاء جمعيتكم العمومية موجودون في وزارة الصحة، كيف تقيّم دور الوزارة في الوقت الحالي؟

– أداء وزارة الصحة مهترئ جداً، يحكمها عدم رغبة في مواجهة الأزمة، لأنها تتحرك في فلك سلطة سياسية لا تعرف إلا تقليل موازنة الصحة في الميزانية العامة، وبالتالي فهي مجبرة على البقاء في هذا المسار والدوران في الفراغ، والذي زاد الطين بلة استهداف الأطباء وعدم حماية المستشفيات؛ وهو ما يؤدي إلى سفر الأطباء وهجرتهم من مصر وضياع حقوق المرضى في العلاج.

● ولكن الاتهام ما زال موجهاً لكم كأطباء في المشاركة بالإهمال الطبي في موضوع سرقة الأعضاء، كيف ترد على ذلك؟

– أنا لا أقر جريمة، ولكن دعونا نتحدث بصراحة؛ فسرقة الأعضاء، هذا الأمر يحتاج إلى ضبط وتقنين؛ فالإعلام يضخم الأمر، وهناك حالة تشويه ضد الأطباء تقودها بعض أجهزة الدولة للأسف الشديد، وليس معنى مشاركة طبيب في جريمة ما أن الأطباء كلهم مدانون، وإلا بالتالي فالمعاملة بالمثل مع وظائف أخرى.■

تأميم العمل الطبي الإسلامي بعد عام ٢٠١٣م ضاعف المأساة

فاتورة الإهمال الطبي باهظة يدفعها المصري الفقير من حياته وحياة أبنائه

الإنفاق العربي على الصحة.. الواقع والمأمول

بقلم: د. أشرف دوابه
خبير اقتصادي

الصحة تاج لا مثيل له، به تنهض الأمم وتتقدم، ويعيش أبناؤها في عافية وحياة كريمة، فالصحة هي أساس الإنتاج وسر جودته، فبها تزداد إنتاجية الفرد، ومن ثم زيادة القيمة المضافة، فهي تمنح روح العافية في النفوس فيهب نشاطها وتزداد عزائمها ولا تتشتت عقولها، وقديماً قالوا: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى».

والناظر إلى الاهتمام بالصحة في الدول العربية يجد أن هناك تفاوتاً بين دولة وأخرى، ويبرز ذلك بيانات الإنفاق على الصحة في تلك الدول؛ فوفقاً لآخر بيانات منشورة في التقرير الاقتصادي العربي الموحد (٢٠١٧م) لصندوق النقد العربي، فإن نسبة الإنفاق العربي على الصحة من إجمالي الناتج المحلي بلغت نسبة ٥,٣٪. وهذه النسبة تقل كثيراً عن المتوسط العالمي الذي تبلغ نسبته ٩,٩٪.

تُصنّف الدول العربية إلى مجموعتين من حيث درجة الاعتماد على القطاعين العام والخاص في الإنفاق على توفير الخدمات الصحية، وإن كان القطاع العام يستأثر بالجزء الأكبر في تقديم الخدمات الصحية في غالبية الدول العربية، حيث تبلغ نسبة الإنفاق العام من إجمالي الإنفاق على الصحة في الدول العربية عام ٢٠١٥م حوالي ٦٠,٧٪، وهذه النسبة تزيد عن مثيلاتها في باقي الدول النامية، وإن كانت -في الوقت نفسه- تظل متدنية مقارنة بسائر الدول الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، ويعكس هذا ما تتسم به الخدمات الصحية الحكومية في الدول العربية من ضعف منظومة العلاج الحكومية وأدائها، حيث يتولى القطاع العام مسؤولية قطاع الصحة في ١٤ دولة عربية، وهو ما يظهره الجدول المرفق في التقرير الاقتصادي العربي الموحد لصندوق النقد العربي:

ويتضح من خلال هذا الجدول، فإن نسبة الإنفاق الحكومي العام إلى إجمالي الإنفاق الحكومي الخاص على الصحة عام ٢٠١٥م تراوحت ما بين ٥٦,٧٪ في تونس، و٨٩,٨٪ في سلطنة عُمان، وتضم هذه المجموعة مع هاتين الدولتين باقي الدول العربية فيما عدا السودان وسورية والصومال وفلسطين وجزر القمر ولبنان ومصر والمغرب وموريتانيا واليمن التي تراوحت فيها هذه النسبة بين ٢١ و ٥٠٪.

كما يبرز الجدول أيضاً نطاق الخدمات الصحية، حيث تجاوزت عام ٢٠١٥م نسبة السكان الذين يحصلون على الرعاية الصحية حوالي ٩٥٪ في كل من الأردن والإمارات والبحرين والجزائر والسعودية وسورية وسلطنة عُمان وفلسطين وقطر والكويت ولبنان وليبيا ومصر، بينما بلغت هذه النسبة حوالي ٩٠٪ في تونس، و٨٥٪ في العراق، و٧٥٪ في المغرب، و٦١٪ في جيبوتي، و٥٣٪ في اليمن، وأقل من ٥٠٪ في كل من السودان والصومال وجزر القمر وموريتانيا، كما يكشف الجدول أيضاً أن مؤشر الرعاية الصحية يتفاوت بين الريف والحضر لصالح الحضر.

ومما يلفت النظر أنه رغم توسع العديد من الدول العربية في الرعاية الصحية، فإنها تفتقد إما إلى اليد البشرية الماهرة، أو الآلات الطبية الحديثة، أو الأبحاث العلمية المطلوبة، حتى باتت جودة الخدمات الصحية في الدول العربية يغلب عليها الفقدان، وبات الشعار المرفوع في بعض الدول عن المستشفيات الحكومية «الداخل إليها مفقود والخارج منها مولود»! وهو واضح جلي من التوجه للعلاج للخارج لاسيما في دول الخليج ذات الثروة النفطية.

وقد كشف الجدول عن عدم كفاية الكوادر الطبية من أطباء وممرضين مقارنة بعدد السكان، وهو الأمر الذي يمثل عائقاً أمام تحسين الخدمات الصحية، حيث يتراوح عدد الأطباء لكل مائة ألف نسمة بين حوالي ٣ أطباء في الصومال، ونحو ٣٠٧ أطباء في لبنان، ويواجه كل من اليمن وموريتانيا والمغرب وجزر القمر والصومال والسودان وجيبوتي والأردن ندرة كبيرة في الطواقم الطبية، إذ يتراوح فيها عدد الأطباء والممرضات لكل مائة ألف نسمة ما بين ٣ - ٦٥ طبيباً، وما بين ٨ - ١٠٥ ممرضات.

كما تعاني الدول العربية -باستثناء جيبوتي وجزر القمر- من ارتفاع عدد السكان مقابل كل سرير، إذ يصل فيها العدد إلى حوالي ١٤٠٨ أشخاص في اليمن، ليرتفع إلى حوالي ٢١١١ و٢٥٠٠ شخص في مصر وموريتانيا على

	إجمالي الإنفاق على الصحة	الإنفاق العام على الصحة	الإنفاق على الصحة حسب نوع الإنفاق (٪)		النسبة المئوية للسكان الذين يحصلون على خدمات صحية (٪)			عدد الأطباء	عدد الممرضات	عدد السكان	
	(٪)		٢٠١٥		٢٠١٥			لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة		مقابل كل سرير	
	٢٠١٥										
	من الناتج المحلي الإجمالي	من إجمالي الإنفاق العام	العام	الخاص	الحضر	الريف	إجمالي	٢٠١٠	٢٠١٥	٢٠١٠	٢٠١٥	٢٠١٠	٢٠١٥
الأردن	٧,٥	١٣,٥	٦٩,٧	٣٠,٣	٩٨	٩٨	٩٨	٦٤	٦٤	٩٦	١٠٥	٥٢١	٥٣٨
الإمارات	٣,٥	٩,٤	٧٢,٣	٢٧,٧	٩٨	٩٥	٩٨	١٤٧	١٧١	٢٢٦	٣٣٦	٩٣٥	٨٧٠
البحرين	٥	١٠,٦	٦٣,٣	٣٦,٧	٩٩	٩٩	٩٩	٢١٠	٢٦٧	٤١٠	٥٢١	٥٨٨	٤٩٣
تونس	٧	١٣,٣	٥٦,٧	٤٣,٣	٩٧	٧٧	٩٠	١٢١	١٦٨	٣٢٥	٣٢٥	٤٧٨	٤٧٢
الجزائر	٧,٢	٨,١	٧٨,٨	٢١,٢	٩٨	٨٨	٩٥	١٥٦	١٨٣	٢٣٥	٢٤٤	٥٨٢	٦١٧
جيبوتي	١٠,٦	١٤,١	٦٣,٩	٣٦,١	٧٣	٢٢	٦١	٢١	٢١	٥١	٥١	٧٠٤	٧٠٤
السعودية	٤,٧	٥,٤	٧٤,٥	٢٥,٥	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٢٤٤	٢٦٠	٤٧٤	٥٤٠	٤٦٧	٤٥٤
السودان	٨,٤	١١,٤	٢١,٤	٧٨,٦	٤٤	١٣	٢٤	٣٥	٤٢	٤٤	٩٥	١١٩٠	١٢٣٥
سورية	٣,٣	٥,٣	٤٦,٣	٥٣,٧	٩٦	٩٥	٩٦	١٥٧	١٣٣	١٩١	١٩٨	٦٤٥	٦٥٨
الصومال	٣	٢,٤	٤٥	٥٥	٥٢	٦	٢٣	٣	٣	٨	٨	١٤٢٩	١١٤٩
العراق	٥,٥	٦	٦٠,٣	٣٩,٧	٨٦	٨٢	٨٥	٧٨	٨٤	١٤٩	١٧٨	٧٦٩	٧٢٥
عُمان	٣,١	٦	٨٩,٨	١٠,٢	٩٧	٩٥	٩٧	١٩٠	٢١٤	٤٣٢	٤٦٥	٥٥٦	٦٤٣
فلسطين	١٠,٩	١١	٤٣,٣	٥٦,٧	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٢٠٨	١٦٧	١٨٢	٢٩١	٧٦٩	٧٨٠
قطر	٢,٢	٥,٨	٨٥,٧	١٤,٣	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٤٠٣	٢١٣	٦١٧	٦١٨	٨١٩	٨٨٣٣
القُمر	٦,٧	١٣,١	٣٢,٩	٦٧,١	٥٠	٣٠	٤٠	١٩	٢٠	٧٠	٧٠	٤٥٤	٤٥٤
الكويت	٣	٥,٨	٨٥,٩	١٤,١	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٦٧	٢٤٢	٤٤٣	٥٨٧	٥٤١	٤٩٠
لبنان	٥,٩	١٠,٧	٤٧,٦	٥٢,٤	١٠٠		١٠٠	٣٢٠	٣٠٧	٢٧٢	٣٣٠	٢٩٠	٣٥١
ليبيا	٥	٤,٣	٧٣,٥	٢٦,٥	٩٧	٩٦	٩٧	٢٠٠	٢٠٠	٧١٠	٦٦٠	٢٧٠	٢٧٠
مصر	٥,٥	٤,٧	٣٨,٢	٦١,٨	٩٨	٩٤	٩٦	١١٣	٨٢	٢١٠	١٤٤	١٩٢٣	٢١١١
المغرب	٥,٩	٥,٦	٣٣,٩	٦٦,١	٨٥	٦٣	٧٥	٦١	٦٥	٩٠	٩١	١١٧٦	١٥٣٣
موريتانيا	٣,٨	٧,٣	٤٩,٦	٥٠,٤	٥١	٩	٢٧	٩	١٠	٦٧	٧٠	١٨٩٢	٢٥٠٠
اليمن	٥,٦	٣,٩	٢٢,٦	٧٧,٤	٩٣	٣٤	٥٣	٢٧	٣٠	٥٣	٧٣	١٤٢٨	١٤٠٨

التوالي، في حين يتراوح هذا العدد في الدول العربية الأخرى باستثناء المغرب والسودان والصومال بين حوالي ٢٧٠ و٨٧٠ شخصاً في ليبيا والإمارات على التوالي، وهذا يعكس حجم المعاناة الصحية في العديد من الدول العربية، لا سيما في ظل التوجه نحو تخفيض الحماية الاجتماعية في الدول التي سارت خلف روشتة صندوق النقد الدولي، وهو ما جعل تكلفة الخدمة الصحية باهظة الثمن لا سيما في ظل الأمراض المستعصية، وعدم قدرة البعض على تحمل تكاليفها، كما أن عدداً من دول الخليج قصَرت الخدمة الصحية المجانية على مواطنيها؛ وهو ما عرّض القاطنين فيها -خاصة محدودي الدخل- إلى الوفاة لعدم قدرتهم على تحمل التكاليف.

ومما يزيد وضع الحالة الصحية العربية وضوحاً معدل وفيات الأطفال باعتباره مؤشراً جيداً لقياس كفاءة النظام الصحي لارتباطه بالوقاية والاستشفاء، فحملات تلقيح الأطفال ونوعية المياه وجودة الصرف الصحي وتوفير الرعاية الصحية للأمهات وقت الحمل والوضع يؤثر تأثيراً مباشراً على معدل وفيات الأطفال.

عدد الأطباء لكل مائة ألف نسمة يتراوح بين ٣ أطباء بالصومال و٣.٧ بلبنان!

معدل وفيات الأطفال الرضع بالدول العربية ٢٧ حالة لكل ألف مولود حي عام ٢٠١٥م

وقد كشف التقرير الاقتصادي العربي الموحد لصندوق النقد العربي (٢٠١٧م) أن معدل وفيات الأطفال الرضع في الدول العربية بلغ حوالي ٢٧ حالة وفاة لكل ألف مولود حي في عام ٢٠١٥م مقارنة بالمتوسط العالمي الذي يمثل ٣٢ حالة وفاة لكل ألف مولود حي، ومع ذلك يبقى هذا الوضع مرتفعاً قياساً بمعدل الدول ذات التنمية البشرية المرتفعة الذي لا يتجاوز ١١ حالة وفاة لكل ألف مولود حي.

وبالنظر إلى هذا المعدل بصورة فردية للدول العربية، نجد أنه انخفض دون ١٠ حالات وفاة لكل ألف مولود حي في الإمارات والبحرين وسلطنة عُمان وقطر والكويت ولبنان، كما بلغ معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة في الدول العربية نحو ٣٥ حالة وفاة لكل ألف مولود حي، وهو ما يقل عن مثيليه في «الدول النامية» و«دول العالم» حيث بلغا على التوالي حوالي ٨٤ و٤٢ حالة وفاة لكل ألف مولود حي، بينما لا يتعدى هذا المعدل ٦ حالات وفاة لكل ألف مولود حي في الدول ذات التنمية البشرية المرتفعة.

وبذلك تكشف هذه البيانات أن الخدمة الصحية في البلدان العربية -وإن تفاوتت فيما بينها- ولكنها ليست بالقدر المأمول الذي يحقق للإنسان العربي المكانة الصحية الخاصة به، وقد آن الأوان للدول العربية أن تحقق الحماية الصحية لأبنائها بصورة تحقق لهم التكريم والتفضيل الذي أراده الله لهم، مع عدم ترك المريض فريسة للمرض في أي دولة عربية ولو كان وافداً، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حينما قال: «من بات منكم آمناً في سربه معافاً في جسده عنده قوت يومه كأنما حيزت له الدنيا» (رواه الترمذي).■

«مافيا» الأدوية.. التجارة في آلام الفقراء

شركات عالمية مختصة في «التوجيه للمرض» عبر آلتها الإعلامية تروج معلومة طبية خاطئة لبيع دواء معين

تحقيق: عبدالغني بلوط (المغرب) - براء ماجد (مصر)
عبدالباقي خليفة (تونس)

تعد الأدوية أحد الأسباب التي ينزل الله عز وجل بها شفاءه على عباده؛ فهي الأمل الذي يتشبث به المريض في مواجهة الأمراض وأخطارها، ولذا جاء الهدي النبوي صريحاً في الأمر بالتداوي، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد الهرم»، وقال عليه السلام: «ما أنزل الله عز وجل داء، إلا أنزل له دواء؛ علمه من علمه، وجهله من جهله».

لكن من الأمور التي تبعث على الأسى أن تتحول هذه الأدوية إلى صفقات عالمية يتربح من ورائها ذوو النفوذ؛ فتدر في خزائنهم المليارات التي تقتطع من أجساد الفقراء الذين أنهكهم المرض والفقر، بل وأخطر من ذلك ألا يقتصر الأمر على غلاء هذه الأدوية فقط، بل يتعدى إلى الغش في مكوناتها؛ فيكون الضرر على الفقير ضررين؛ المال، والدواء المغشوش.

«المجتمع» حاولت البحث في هذه الظاهرة من خلال هذا التحقيق الذي شمل ثلاث دول عربية (المغرب، مصر، تونس).

شركات الأدوية.. وإثارة الرعب:

«تتعمد بعض الشركات العالمية للأدوية إثارة الرعب من خلال تسويق أمراض قديمة على أنها جديدة تشكل خطراً على حياة الإنسان؛ وبالتالي تبيع أكثر أدويتها القديمة في حلة جديدة»، هذا ما أكده خبير في مجال الأدوية من المغرب (فضل عدم ذكر اسمه) في تصريحات لـ«المجتمع»، حيث ذكر أن الأمثلة كثيرة على ذلك، فهناك شركات عالمية مختصة في «التوجيه للمرض» عبر آلتها الإعلامية الضخمة، بترويج معلومة طبية خاطئة مبنية على حقيقة وهمية، وهو ما يثير الرعب ويسهل عملية الإقبال على شراء دواء معين.

وأوضح أن صناعة الدواء تمر بعدة مراحل، هي: الاكتشاف، ثم عرض الفكرة على المختصين، ثم انتقاء طريقة صنع الدواء، ثم التجارب على الحيوانات، قبل المرور إلى التجارب على الإنسان ومرحلة التصنيع.

ويؤكد الخبير المغربي أن المواطن الأمريكي هو أكثر الأشخاص تقبلاً لفكرة تجارب الأدوية عليه مقابل المال، لكن الشركات الأمريكية تتجه إلى أوروبا لسهولة التجريب، وقد انتشرت فضائح في الصحافة بسبب سوء الاستعمال وغياب

السلامة، ويضغط نشطاء من أجل تحسين شروط الاستعمال في هذه المرحلة.

واستشهد الخبير على كلامه بما وقع مع مرض «H1N1»، الذي تبين فيما بعد أنه مرض مثل جميع الأمراض لا يستحق الهالة الإعلامية التي واكبته حينها، وشدد على أن هناك أدوية تصل كلفتها نحو ١٢ دولاراً، يمكن أن تباع بأضعاف ثمنها ألف مرة، كما وقع في لقاح فيروس الالتهاب الكبدي من نوع «ب».

القوانين بدائرة الاتهام

وفي المقابل، يؤكد الخبير المغربي أن عدداً من مبتكري الأدوية يعملون بجد لإيجاد حلول لأمراض مستعصية، لكن القوانين لا تنصفهم، إذ عليهم دفع مبالغ كبيرة جداً من أجل الحصول على براءة الاختراع، ولا يمكنهم الاستفادة من ذلك إلا عشر سنوات، بعدها يمكن لأي شركة أن تبحث في مكوناته وتنتج مثله وتبيعه، مضيفاً أن الأمر تتدخل فيه «لوبيات» عبر سن قوانين تحت مظلة مؤسسات عالمية، تلزم جميع الدول بها.

وأشار إلى أن بعض هذه الشركات تلجأ إلى حيلة لتحمي مصالحها، فهي لا تستثمر إلا في الأدوية باهظة الثمن؛ مثل دواء العمى أو غيره، الذي يصل ثمنه إلى ملايين الدولارات، حتى إذا رغبت شركة منافسة سرقة براءة اختراعها، يلزمها دفع المال الكثير من أجل الحصول على علب تُجري عليها تجاربها وتعرف مكوناتها.

من جهة ثانية، كشف تحقيق استمر لمدة عام من قبل الاتحاد الدولي لصحفيي كيف، عن فوز كبار السياسيين والمسؤولين في الاتحاد الأوروبي بسبب مزاعم مضللة من جماعات الضغط في مجال صناعة الأدوية.

وقال التحقيق: إن هذه الادعاءات أدت دوراً محورياً في تشكيل مسار سياسة الاتحاد الأوروبي وقتل أي احتمال لتعزيز جوهري لتنظيم الأجهزة الطبية، أولاً في المفوضية الأوروبية، وفيما بعد في البرلمان الأوروبي.

فقراء المغرب.. يعانون رغم «رامید»:

وفي محاولة منها لمواجهة آثار «مافيا» الأدوية التي تؤدي إلى ارتفاع الأدوية بصورة كبيرة، عملت المملكة المغربية على محاولة توفير العلاج لهذه الطبقات عبر نظام المساعدة الطبية (راميد)، الذي تم تعميمه عام ٢٠١١م لمساعدة غير القادرين على تحمل مصاريف العلاج، بالحصول على تغطية صحية أساسية، والاستفادة من مجانية العلاجات من خلال الخدمات الطبية المقدمة بالمستشفيات والمؤسسات العمومية للصحة، والمصالح الصحية التابعة للدولة، سواء في الحالات الاستعجالية أو خلال تلقي العلاجات بالمستشفى.

لكن نظام «راميد» عرف اختلالات وصفت بالكبيرة؛ إذ سجلت تقارير رسمية أن عدداً من الأشخاص من الطبقة الغنية ممن لا تنطبق عليهم شروط الاستفادة حصلوا على بطاقة «راميد»؛ وهو ما أضر بمصالح الفقراء وبالمنظومة ككل.

وتعليقاً على هذا الأمر، يؤكد خليل رفيق، المسؤول النقابي بقطاع الصحة بالمغرب، في تصريح لـ«المجتمع» أن من بين اختلالات هذا النظام أنه يفرض على المريض الدفع نقداً إذا احتاج لمعدات طبية عالية الثمن من أجل إجراء عمليات جراحية.

كما أن الفقير -حسب خليل- يواجه صعوبة الولوج نتيجة المساطر الإدارية المرصودة لهذا الغرض؛ إذ يتعين على حاملي هذا النظام الالتزام بمستويات الخريطة الصحية، انطلاقاً من المركز الصحي التابع له، مروراً بالمستشفى المحلي، ثم الإقليمي فالجهوي ثم الجامعي إن تطلب الأمر ذلك.

ويضيف خليل أن المرضى الفقراء يواجهون خطر نفاد مخزون الأدوية، خاصة الموجهة للأمراض المزمنة، حيث يسجل باستمرار نفاد أدوية علاج السرطان، وأمراض القلب وارتفاع ضغط الدم، والأنسولين، وحتى تتوافر هذه الأدوية يمكن أن تتدهور حالة المريض.

أدوية ثمنها ١٢ دولاراً تباع بأضعاف ثمنها ألف مرة في لقاح فيروس الالتهاب الكبدي «ب»!

تونس بالمرتبة الأولى مغاربياً في تهريب الأدوية نظراً لانخفاض أسعارها مقارنة بالجزائر وموريتانيا والمغرب

مصر.. دولة داخل الدولة:

وباستطلاع الوضع بمصر، تشير تقارير رقابية للمجتمع المدني إلى أن «مافيا» الأدوية تمثل دولة داخل الدولة! فقد حذرت نقابة الصيادلة المصرية، في بيان لها بأكتوبر الماضي، من وجود ما أسمته «مافيا لتجارة الأدوية المغشوشة المنتهية الصلاحية والمعاد تدويرها»، حيث تبيعها للمواطنين من خلال بعض التطبيقات والمواقع الإلكترونية وبعض عيادات الأطباء، وهو ما يمثل خطراً شديداً على صحة المواطنين الذين يستغلهم هؤلاء التجار بتخفيضات على تلك الأدوية.

وقد أعلنت نقابة الصيادلة -حينها- تقدمها ببلاغ للجهات المعنية مثل رئاسة الوزراء،

ووزارة الصحة، وجهاز حماية المستهلك، ومباحث التموين؛ لمنع تلك الظاهرة، وإغلاق تلك التطبيقات، ومساءلة أي جهة تبيع أدوية مجهولة المصدر، ومعاقبة أصحابها.

وفي تصريح لـ«المجتمع»، يرى محمد خطاب، صيدلي مصري، أن «مافيا» الأدوية بمصر نوعان؛ أحدهما محلي وهو عبارة عن مجموعة مخازن غير مرخصة تعمل في الأدوية المحلية، وتمثل تقريبا ٤٠٪ من مجمل المبيعات، ويشير إلى أن المشكلة الرئيسة أنها تعطي خصومات للصيدليات أكثر من شركات التوزيع، وبالتالي تلجأ إليها الصيدليات لمزيد من المكسب.

أما النوع الثاني -حسب خطاب- فهو «مافيا» الأدوية المستوردة، وهي أدوية الشركات العالمية التي يتم تهريبها سواء من مصر إلى الخارج أم العكس.

وأضاف أنه في كلتا الحالتين تكون فرصة لبعض المصانع غير المرخصة لتصنيع أدوية أقل كفاءة وبسعر أقل، وبالتالي يكون الضرر الواقع على المستهلك كبيراً؛ لأن المادة الخام في مصر غير مضمونة.

ويرى الصيدلي المصري أن الحل يكون في رقابة صارمة على مصانع الأدوية، سواء مرخصة أم غير مرخصة، وتفعيل حماية دور التفتيش الصيدلي لأنه خط الدفاع الأول ضد «مافيا» الأدوية، مع فرض مزيد من الرقابة على مجموعات الصيدليات الكبيرة لأنها الثغر العميق في عمليات التهريب.

تصنيع الدواء المغشوش

أما د. أحمد رامي، أمين صندوق نقابة صيادلة مصر الأسبق، ونقيب الصيادلة السابق في محافظة القليوبية بمصر، فيرى، في تصريح لـ«المجتمع، أن مصر من البلاد العجيبة في العالم التي لا يوجد بها هيئة أو مؤسسة واحدة للإشراف على الدواء، بينما يوجد تنسيق قوي بين الشركات الأجنبية التي تستقوي أحياناً بالسفارات الأجنبية للضغط على النظام المصري حال توقيع بعض الاتفاقيات الدولية المعنية بمنظومة الدواء.

وأوضح أنه يتحكم في سوق الدواء بمصر -بجانب الشركات الأجنبية- شركات استثمار خاصة برجال أعمال، ودائماً يكونون مقربين من السلطة في كل عصر، مع بقايا شركات قطاع الأعمال الحكومية التي تتعمد الخروج من السوق مع استمرار إنتاجها عند نسبة ٢ أو ٣٪، بصورة غريبة رغم إمكاناتها المؤهلة لأكثر من ذلك.

وحول «مافيا» الأدوية، يضيف د. رامي أن غش الدواء ظاهرة عالمية، لكن مصر من البلاد التي يتم فيها تصنيع الدواء المغشوش وليس التداول فقط، حتى تخطت النسبة العالمية في الغش التي تقدر -وفق إحصائيات غير رسمية- بنسبة ١٠٪ لكن مصر تجاوزت هذه النسبة نظراً لضعف الرقابة، وهو ما يلقي بظلاله السلبية على المرضى خاصة الفقراء الذين لا حل تجاههم إلا بإقرار منظومة صحية إيجابية، ومظلة من التأمين الصحي الشامل في ظل تحصيل الحكومة للضرائب بجانب دعم مصانع قطاع الأعمال والإنفاق على البحث العلمي ضمن حلول المستوى القريب.

بعض الشركات الأجنبية تستقوي بسفاراتها للضغط على النظام المصري لتوقيع اتفاقيات بمنظومة الدواء

رغم أن ٣٩ % من ميزانية الصحة بتونس تصرف في توفير الأدوية فإن هناك نقصاً فادحاً فيها

الفقراء يدفعون الثمن

وإزاء تأثير هذه الممارسات الكارثية على سوق الأدوية في مصر، فإن الفقراء هم الأكثر معاناة في ظل ارتفاع أسعار الأدوية، بالإضافة إلى غشها وسرقتها، وفي هذا السياق، تقول الحقوقية سلمى أشرف، مسؤولة الملف المصري في منظمة «هيومن رايتس مونيتور»، في تصريح لـ«المجتمع»: إن الحق في الصحة تقريباً مسلوب من المصريين، وإن وسائل العلاج والمستشفيات والأدوات مُمرضة أكثر مما هي معالجة لهم، وَفق ما هو موثق مراراً، وبات الأفضل لدى قطاعات عديدة عدم العلاج في المشافي الحكومية، رغم أن الحق في الصحة والعلاج حق أصيل يجب أن تكفله الدولة لكل مواطن، لكن ما يحدث في مصر هو العكس.

ووصفت أشرف علاج الفقراء بأنه مميت، بجانب أن تكلفة الدواء عالية جداً، وذلك بسبب تهميش الفقراء بشكل أكبر، وكم من حالة لجأت -وفق ما هو مرصود- لمستشفيات خاصة كأمل أخير في الحياة وتم إلقاؤها في الشارع بسبب ارتفاع المصاريف التي لا يملكها الفقير، رغم أن الحق في الصحة حق ملازم للحق في الحياة.

الحقوقي أحمد العطار اتفق مع سلمى أشرف، مضيفاً أن الفقراء ليس لهم مكان على الخارطة العلاجية في مصر، والبنية التحية والإمكانات والاستعدادات التي تتمتع بها المستشفيات أو المعاهد الحكومية سيئة جداً، وفي تدهور مستمر، ومن سيئ لأسوأ، بالإضافة إلى عدم قدرة مستشفيات وزارة الصحة على استيعاب وتوفير الأدوية ولو حتى بأسعار رمزية إلا في قليل من الحالات وبإجراءات إدارية معقدة تتطلب وقتاً كبيراً.

وفي ظل هذا الواقع -يضيف العطار- نستطيع القول: إن الفقراء بمصر في خطر كبير

بسبب ارتفاع أسعار الأدوية، وعجز المستشفيات الحكومية عن القيام بدورها؛ وهو ما قد يزيد من حالات الموت البطيء.

تونس.. معاناة علاجية رغم الإنفاق:

ومن مصر إلى تونس التي عاشت في الفترة الأخيرة أزمة دواء، لا سيما الخاصة بالأمراض المستعصية والمزمنة والسارية؛ كالسكري، حيث تقول «الجمعية التونسية للدفاع عن الحق في الصحة» في تقرير، حصلت «المجتمع» على نسخة منه: إن قطاع الصحة في تونس يتميز بالتبذير، ونقص الأدوية، فبالرغم من أن ٣٩٪ من ميزانية الصحة تصرف في توفير الأدوية، فإننا نلاحظ أن هياكل القطاع الصحي تعاني من نقص فادح في الأدوية، ونفاد مخزونها منه على جميع المستويات.

والسبب -وفق التقرير- يعود إلى سياسة الاستخدام، ونقص التمويل الكافي الذي يمثل السبب الرئيس لنفاد مخزون الأدوية، إلى جانب الفساد وسوء التصرف.

سرقة وتهريب

وفي حديث لـ«المجتمع»، أكدت بعض المصادر التي طلبت عدم ذكر هويتها أن سرقة الأدوية من المستشفيات بتونس أصبحت أمراً شائعاً، وباتت تمثل تهديداً لنظام الرعاية الصحية، وتختزل الفساد الذي ينخر في قطاع الصحة، إلى جانب تآكل احتياطيات الصيدلية المركزية للدولة نتيجة ارتفاع ديونها للمؤسسات التي تتعامل معها، التي تجاوزت ٤٠٠ مليون دولار.

وقد أدى عدم سداد تلك الديون إلى دفع الدائنين إلى وقف التعامل مع الصيدلية المركزية ووقف الإمدادات الطبية وتحديداً الأدوية.

وإذا كانت عمليات السرقة للأدوية من داخل المشافي التونسية تذهب إلى الصيدليات الخاصة، أو الأقرباء والأصدقاء، وبعض الزبائن الآخرين، فإن هناك عمليات سرقة أخرى، تتمثل في تهريب الأدوية إلى الدول المجاورة سواء الجزائر أو ليبيا التي يتم تهريب معظم الأدوية المسروقة وغير المسروقة والموردة من الخارج أو المصنوعة في تونس إليهما؛ وهو ما دفع وزير الصحة السابق عماد الحمامي إلى التأكيد قبل مغادرته الحكومة في التحوير الوزاري الأخير، الذي جرى في نوفمبر ٢٠١٨م، أن ظاهرة تهريب الأدوية تكلف الدولة التونسية أكثر من ٤٠٠ مليون دينار تونسي (الدينار ٣ يورو تقريباً).

وتابع أن ٣٠٪ من عمليات تهريب الأدوية تتم بالمناطق الجنوبية التونسية، وهي من المناطق التي تشهد نقصاً فادحاً في الخدمات الصحية والأدوية، وأكد الحمامي أنه لا يمكن الحديث عن شبكات تهريب للأدوية دون الإشارة إلى تورط موظفين تابعين للقطاع الصحي.

عصابات متخصصة

ولم يخف المدير العام للصيدلية المركزية أيمن مكي، في حديث لـ«المجتمع» عبر الهاتف، وجود عصابات منظمة ترصد الأدوية مرتفعة الثمن، وتابع: هذه العصابات تحصل على الأدوية من مؤسسات الصحة العمومية (العامة) ومصحات الضمان الاجتماعي ليتم تهريبها، أو بيعها لاحقاً، بأسعار مرتفعة، كما أقر المكي بأن هناك موزعي أدوية ومهربين يقومون باقتناء الأدوية المدعومة من الدولة من الصيدليات التي تحصل عليها من المهربين الصغار من داخل المستشفيات بغرض تهريبها إلى ليبيا.

مصر من البلاد التي يتم فيها تصنيع الدواء المغشوش وليس تداوله فقط

الفقراء بمصر يعانون بسبب ارتفاع أسعار الدواء

ورغم أن القوانين مشددة، فإن مسالك التهريب تبدو سالكة إلا من بعض الحالات التي تسجل لرفع العتب، كما يقولون، فتونس تحتل المرتبة الأولى مغاربياً في تهريب الأدوية؛ نظراً لانخفاض أسعارها مقارنة بالجزائر وموريتانيا وحتى المغرب، وهناك عصابات في هذه البلدان تتعاون مع بعضها، ويمثل بعض الأطباء والصيادلة والممرضين وحتى السائقين والإداريين بالمستشفيات والصيدليات بؤرة الفساد في هذا القطاع الصحي بتونس، وهو ما تثبته الوقائع، وبعض الملفات لا تزال في أروقة المحاكم.

وفي النهاية، فإن الفقراء هم الذين يقع عليهم العبء الأكبر في هذه المآسي، خاصة أنهم أغلبية الشعب التونسي، منهم مليونان تحت خط الفقر، غير قادرين على العلاج داخل المستشفيات الخاصة، وهو ما أكدته حلقة نقاشية عامة في إحدى الندوات عقدت يوم ٦ نوفمبر ٢٠١٨م.

كما أظهرت دراسة نشرت أخيراً أن المستشفيات العامة بتونس لم تعد تستجيب لاحتياجات المواطنين، حيث تراجع مستوى خدماتها، فهي قديمة ولم تواكب زيادة عدد السكان، ولم تجدد معداتها، فضلاً عن تمركزها في حيز جغرافي دون آخر، وانتشار الرشوة والمحسوبية والاختلاس.■

الصحة والهواء..
كُنَّاشة من تراثنا الحضاري

واحدةٌ من أهم أسباب وظواهر ضعفنا الحضاري انقطاعُنا عن تراثنا الحضاري الثري، ولذلك فكثيراً ما يندهش الباحثون في التاريخ والحضارة الإسلامية حين يصادفون أموراً كانوا يظنون أن الحضارة الإسلامية لم تعرفها أو تكتب عنها شيئاً! في هذه السطور إشارات واقتباسات في أمر الصحة والعلل والأمراض من تراثنا الحضاري العريق، في مسألة تلوث الهواء وآثاره على الصحة العامة.

محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

١- عاش علي بن العباس المجوسي -في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري- في بغداد، عاصمة العلوم، واتصل بعضد الدولة البويهي، أقوى أمراء الدولة البويهية، وألف بطلب منه «كامل الصناعة الطبية» الذي يعد من أهم كتب الطب في التراث الإسلامي[١]، ونحن نقرأ عنده تفصيلاً لتأثير تلوث الهواء على صحة الإنسان، ومن ثَمّ كيف تكون طرق الوقاية وطرق العلاج مختلفة بحسب اختلاف الفصول في السنة، يقول: «اعلم أنه ينبغي لكل من أراد حفظ صحته أن يكون تصرفه في المواضع التي يكون هواؤها صافياً لطيفاً طيباً لذيذاً لمستنشق، سريع التغير من الرياح الهابة، ليس بالغليظ ولا مما يخالطه بخارات رديئة ما أمكن؛ فإن الهواء أحد الأسباب القوية في تغير الأبدان لحاجة الحياة إليه اضطراراً، ولأن أوقات السنة أقوى الأسباب في تغيير الهواء، وينبغي أن تذكر تدبير الصحة الذي يكون في كل واحد من أوقات السنة، فاعلم ذلك ترشد»[٢].

ويقول في أسباب نشوء الوباء: «ولما كانت الأمراض الوبائية قد تحدث أيضاً من قبل بخارات عفنة تخالط الهواء بمنزلة البخارات المتحللة من جثث الموتى من الناس والبهائم، التي تتحلل من الماء الذي تقع فيه البقول، والفاكهة الكثيرة تتعفن، وَجَبَ -مع ما ذكرنا من تنقية الأبدان والتدبير المضاد لما يحدث في البدن- أن يتنحى عن ذلك البلد وعن المواضع التي قد اتفق ذلك فيها إن أمكن ذلك، وإلاّ فليكن المأوى فوق الريح التي تمر بتلك العفونات، أو في السراديب القليلة الندى والبيوت التي لا يدخلها هواء كثير وتُرش بالخل وتفرش بالآس والرياحين الباردة، وتبخر المواضع التي تأويها بالبخورات الطيبة كالعود والصندل والكافور والمسك.. وأن يكثروا من استخدام الرياحين الباردة الطيبة، فعلى هذا المثال ينبغي أن يتدبر من أراد أن يتخلص من الأمراض الوبائية»[٣].

ومن هنا أوصى بالبعد مسافة رمح عن المصاب بالأمراض المعدية «كالجذام والجرب والسل والبرسام والجدري والرمد، فإن هذه الأمراض تُعدي من يجالس صاحبها؛ فينبغي ألا يجالس الإنسان أمثال هؤلاء، ولا يأوي مع مَنْ هذه حالته في بيت واحد، وأن يتباعد عنهم إلى مواضع تكون فوق الرمح»[٤].

٢- ومنذ أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كان ابن سينا -وهو أشهر من أن يُعرّف- يقسم التلوث إلى نوعين؛ تلوث طبيعي أو عادي أو بسيط، وتلوث خارج العادة وفوق الطبيعي، وهو التقسيم الذي لا يزال معتمداً

«كامل الصناعة الطبية» من أهم كتب الطب بالتراث الإسلامي تعرض لتأثير تلوث الهواء وطرق الوقاية منه

ما يزال تقسيم ابن سينا للتلوث إلى نوعين طبيعي وفوق الطبيعي المعتمد بعلم البيئة المعاصر

في علم البيئة المعاصر، يقول ابن سينا: إن «الأسباب المغيرة لأحوال الأبدان والحافظة لها إمّا ضرورية لا يتأتى للإنسان التفصي[٥] عنها في حياته، وإما غير ضرورية»، وجعل أولى هذه الضروريات «جنس الهواء المحيط وجنس ما يؤكل ويشرب»[٦].

ويُعَرّف الهواء النقي بأنه «الهواء الجيد الذي ليس يخالطه من الأبخرة والأدخنة شيء غريب، وهو مكشوف للسماء غير محقون.. فهذا الهواء الفاضل نقي صاف لا يخالطه بخار بطائح وآجام وخنادق وأرضين نزه ومباقل، وخصوصاً ما يكون فيه مثل الكرنب والجرجير وأشجار خبيثة الجوهر مثل الجوز والشوحط والتين وأرياح عفنة، ومع ذلك يكون بحيث لا يحتبس عنه الرياح الفاضلة.. ولا أيضاً محقوناً في جدران حديثة العهد بالصهاريج ونحوها لم تجف بعد تمام جفافها، ولا عاصياً على النفس كأنما يقبض على الحلق»[٧].

ويقسم تلوث الهواء إلى نوعين: «والهواء يعرض له تغيرات طبيعية، وتغيرات غير طبيعية أو تغيّرات خارجة عن المجرى الطبيعي مضادة له، والتغيرات الطبيعية هي التغيرات الفصلية، فإنه يستحيل عند كل فصل إلى مزاج آخر»[٨]، «وأمّا التغيرات الخارجة عن الطبيعة فإمّا لاستحالة في جوهر الهواء وإما لاستحالة في كيفياته؛ أما الذي في جوهره فهو أن يستحيل جوهره إلى الرداءة؛ لأن كيفية منه أفرطت في الاشتداد أو النقص، وهذا هو الوباء، وهو بعض تعفن يعرض في الهواء يشبه تعفن الماء المستنقع الآجن.. ونعني بالهواء الجسم المبثوث في الجو وهو جسم ممتزج من الهواء الحقيقي ومن الأجزاء المائية البخارية ومن الأجزاء الأرضية المتصعدة في الدخان والغبار ومن أجزاء نارية»[٩].

٣- وفي ذات عصر ابن سينا، ولكن في مصر، كان رئيس أطباء مصر في عصره علي بن رضوان المصري -وهو رياضي وفيلسوف كذلك[١٠]- يكتب عن أسباب الأمراض الوافدة فيجعل السبب: التلوث في الهواء والماء والغذاء، ويضيف إليها العوامل النفسية، يقول: «ومعنى المرض الوافد أن يعم كثيراً في بلد واحد وزمان واحد، ومنه نوع يقال له: الموتان[١١]؛ وهو الذي يكثر معه المرض، وحدوث الأمراض الوافدة تكون عن أسباب كثيرة تجمع في الجملة في أربعة: تغير كيفية الهواء، وكيفية الماء، وكيفية الأغذية، وكيفية الأحداث النفسانية»[١٢].

وهو يقسم تلوث الهواء إلى نوعين، كما فعل ابن سينا[١٣].

٤- وقد وصف حجة الإسلام أبو حامد الغزالي -في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري- مسار دخول الفيروسات إلى جسم الإنسان وإضرارها به وحدوث العدوى، فذكر كيف يبقى الميكروب في الجسم زمناً دون أن يظهر أثر المرض على الإنسان، وهو ما يعرف بفترة الحضانة، يقول:

ابن خلدون تعرض لتأثير الهواء على الصحة والفوارق بين بيئات الحضر والبدو في انتشار المرض

«الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق، فيَصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر إلا بعد التأثير في الباطن، فالخارج من البلد الذي يقع به لا يخلص غالباً مما استحكم به»[١٤].

٥- ومنه ما نراه في بيتي شعر غاية في الطرافة للطبيب العباسي هبة الله بن التلميذ - الذي عاش في القرن السادس الهجري وخدم لدى الخليفة العباسي المستضيء بنور الله- يتحدث فيهما عن خطورة وقوع الذبابة على الجرح المفتوح، فيقول:

لا تحقرن عدواً لان جانبه
ولو يكون قليل البطش والجلد
فللذبابة في الجرح الممد يَدٌ
تنال ما قصرت عنه يد الأسد[١٥]

٦- وقد تعرض المؤرخ الكبير ومؤسس علم الاجتماع ابن خلدون لموضوع تأثير الهواء على صحة الإنسان، وذلك حين تعرض للفوارق بين بيئات الحضريين والبدويين، وكيف تكثر الأمراض في البيئة الحضرية بينما تقل في البيئة البدوية، يقول: «إن الأهوية في الأمصار[١٦] تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات، والأهوية منشطة للأرواح، ومقوية بنشاطها الأثر الحار الغريزي في الهضم، ثم الرياضة مفقودة لأهل الأمصار؛ إذ هم في الغالب وادعون ساكنون، لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً، ولا تؤثر فيهم أثراً، فكان وقوع الأمراض كثيراً في المدن والأمصار، وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم إلى هذه الصناعة»[١٧].

وأما أهل البدو «أهويتهم فقليلة بالعفن لقلة الرطوبات والعفونات إن كانوا ظواعن[١٨]، ثم إن الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم، فيحسن بذلك كله الهضم ويجود، ويفقد إدخال الطعام على الطعام فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد من الأمراض فتقل حاجتهم إلى الطب، ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية»[١٩].

وقد كانت لهذه المعارف العلمية تطبيقاتها المتنوعة في عالم الإسلام من خلال المستشفيات والمدن والبيوت والحدائق وغيرها من الأبواب التي تحتاج بحوثاً طويلة ومعمقة لتكشف عن هذه الأوجه المطموسة من حضارتنا الإسلامية المشرقة.■

الهوامش

(١) الزركلي: الأعلام ٢٩٧/٤.
(٢) علي بن العباس المجوسي: كامل الصناعة الطبية ص٤.
(٣) علي بن العباس المجوسي: كامل الصناعة الطبية ص٦٥.
(٤) علي بن العباس المجوسي: الكامل في الصناعة الطبية ص٦٤، ٦٥
(٥) لا يتأتى التفصي: أي لا يمكن للإنسان الانفصال عنها.
(٦) ابن سينا: القانون في الطب ١١٣/١.
(٧) ابن سينا: القانون ١١٨/١.
(٨) ابن سينا: القانون ١١٤/١.
(٩) ابن سينا: القانون ١٢٥/١.
(١٠) الزركلي: الأعلام ٢٨٩/٤.
(١١) الموتان: الأمراض إذا عمت كثيراً من الناس وكانت مهلكة سميت "موتان"، بمعنى الوباء أو الجائحة بالتعبير الطبي الحديث.
(١٢) ابن رضوان المصري: رسالة في الحيلة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر، تحقيق د. رمزية الأطرقجي، مركز إحياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد ١٩٨٨، ص٤٦.
(١٣) ابن رضوان المصري: رسالة في الحيلة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر ص٤٦، ٤٧.
(١٤) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١٨٩/١٠.
(١٥) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢٤٨/١.
(١٦) أي المدن والحواضر.
(١٧) تاريخ ابن خلدون ٤١٦/١، ٤١٧.
(١٨) ظواعن: أي كثيرو التنقل.
(١٩) تاريخ ابن خلدون ٤١٧/١.

د. محمد الشرهان رئيس جمعية صندوق إعانة المرضى لـ«المجتمع»:

الله تعالى سخرنا لمساعدة المرضى غير القادرين بالكويت

أكد د. محمد الشرهان، رئيس جمعية صندوق إعانة المرضى، أن الصندوق يقوم بدور كبير في رعاية المرضى والحفاظ على صحتهم وحياتهم، مشيراً إلى أنه لولا أن الله سخر الصندوق والقائمين عليه لمساعدة غير القادرين على تحمل نفقات العلاج من المرضى؛ لكانت هناك مشكلة في الكويت.

وأضاف الشرهان، في حواره مع «المجتمع»، أن كل الدول الإسلامية -باستثناء دول الخليج- بحاجة إلى دعم ومساندة، فعندما تقوم بالتجوال في هذه الدول، وتزور المراكز الصحية والمستشفيات؛ تلاحظ الحاجة الماسة إلى الدعم والمساعدة.

حوار - سعد النشوان:

● **أنتم وجه الكويت الخيري الصحي وإغاثة المرضى المحتاجين، حبذا لو تعطينا فكرة عن تاريخ الصندوق.**

- نشأت فكرة الصندوق في ذهن مجموعة من الأطباء الكويتيين، من الخريجين الجدد، الذين عملوا في وزارة الصحة عام ١٩٧٩م، حيث عايشوا حاجة المرضى في المستشفيات، خاصة الفقراء منهم، لذا عملوا على إنشاء مؤسسة صغيرة يكون الهدف من إنشائها تقديم المساعدة للمرضى المحتاجين، وكانت البداية الإنفاق من أموالهم الخاصة؛ بحيث كان يخصص كل طبيب مبلغاً شهرياً لدعم هذه المؤسسة حديثة العهد في ذاك الوقت، ثم بعد ذلك بدأ التفكير بطريقة مؤسسية، حتى ترى مؤسستهم الصغيرة النور بطريقة رسمية وترخيص من الدولة، ليتسنى من خلالها توفير الرعاية الطبية للمرضى المحتاجين، وقد أطلقوا على هذه المؤسسة اسم «صندوق رعاية المرضى».

المشترون من محلات الصندوق يُؤجَرون من حيث لا يعلمون

1. آلاف يستفيدون من الصندوق سنوياً ومساعداتنا للجميع بصرف النظر عن الجنسية أو الدين

في ذاك الوقت، أوقفت الكويت إصدار تصاريح أو تراخيص جديدة للجمعيات والمؤسسات الخيرية؛ لذا تواصلنا مع القائمين على جمعية النجاة الخيرية التي تم تأسيسها حديثاً في ذاك الوقت -وبالتحديد عام ١٩٧٨م، أي قبل ترخيص صندوق رعاية المرضى بعام واحد- ومن ثمّ وافق القائمون على الجمعية أن نكون إحدى اللجان التابعة لهم، ومن هذا المنطلق مارس الأطباء المؤسسون لصندوق رعاية المرضى أعمالهم، في تقديم الرعاية الطبية للمرضى المحتاجين.

وكان القائمون على جمعية النجاة الخيرية نِعْم الحاضن للجنة صندوق رعاية المرضى، وكانوا في قمة التعاون معنا، حيث أعطونا حرية التصرف والتخطيط، والتنفيذ، لذا نشكرهم على ذلك شكراً جزيلاً.

وفي عام ٢٠٠٥م، تم إشهار «جمعية صندوق رعاية المرضى» رسمياً كجمعية نفع عام، وبدأنا نعمل باستقلالية عن جمعية النجاة الخيرية.

● **من أهدافكم رعاية المرضى ومساعدتهم، هل لديكم شروط لذلك؟**

- ليس عندنا أي نوع من التمييز بين المرضى، فمساعداتنا تشمل الجميع بصرف النظر عن الجنسية أو الدين أو العرق أو الطائفة، عدد المستفيدين سنوياً نحو ١٠ آلاف، كلهم على قدم المساواة في الخدمة، فعملنا إنساني من الدرجة الأولى، وتلك تعليماتنا لمكاتبنا الخارجية، ألا يكون هناك تمييز إلا على الحاجة الإنسانية.

● **ما مصادر تمويلكم؟**

- مثلنا مثل بقية الجمعيات

الخيرية في الكويت؛ مصادر تمويلنا الأساسية قائمة على الزكاة والصدقات، سواء من أفراد أو شركات أو مؤسسات، وبعض المستشفيات الخاصة إن أرادوا استبدال أجهزتهم الطبية، يتبرعون لنا بالأجهزة القديمة، ونحن نقوم بصيانتها والتأكد من مدى صلاحيتها للعمل، ونرسلها إلى الدول الإسلامية المحتاجة لهذه الأجهزة، كذلك علاقتنا مع وزارة الصحة جيدة، حيث مكننا ذلك من الاستفادة من بعض أجهزتهم الطبية التي يتنازلون عنها؛ وبالتالي نقوم بصيانتها وتجهيزها، والتأكد من صلاحيتها للعمل، ومن ثم نقوم بإرسالها إلى مواطن الحاجة، وكذلك لنا علاقات جيدة مع بيت الزكاة، والأمانة العامة للأوقاف.

● **المحلات الصغيرة الموجودة في المستشفيات، هل عائدها يرجع إليكم؟**

– نعم، وعندما بدأنا في هذه المحلات، كنا نقدم السلع الغذائية البسيطة وغير الغذائية، للمرضى والمراجعين، فطلب منا مديرو المستشفيات أن تكون الخدمة على أعلى مستوى مثل «الكافيهات» العالمية، بحيث نقوم بتغيير الديكورات، وتحسين الخدمات، وغير ذلك، فقلنا لهم: إذن الوضع حينها سوف يختلف، والسعر سيكون أغلى بعض الشيء، لذا استعنا بأحد وكلاء «الكافيهات» العالمية، وساعدنا في تطوير الخدمة، إلى أن وصلنا إلى المستوى المطلوب من التطوير وتحسين الصورة، ثم تم الاستقلال عن هذا الوكيل، وأصبحنا ندير تلك «الكافيهات» بأنفسنا.

وعندما أثير موضوع حتمية إغلاق تلك «الكافيهات»، ووزارة المالية اقترحت عرضها في مزايدة، ذهبنا إلى الإخوة في وزارة المالية، وقلنا لهم: لا تنظروا إلى كم يدخل إلينا عبر تلك «الكافيهات»، بل انظروا أين تُنفق تلك الأموال، حيث إنها لا تدخل جيب أحد، فهذه الأموال يتم إنفاقها إما في مساعدة المرضى، أو في المرافق الصحية المختلفة.

ولولا أن الله سخرنا لمساعدة هذه الفئة من المرضى غير القادرة على تحمل نفقات العلاج، لكانت هناك مشكلة في الكويت، فهناك مرضى لا تتكفلهم الدولة، هل ندعهم يموتون؟!

لذا، فصندوق رعاية المرضى يقوم بدور كبير في رعاية المرضى والحفاظ على صحتهم وحياتهم، ولذلك ندعو الحكومة الموقرة أخذ ذلك في عين الاعتبار.

مصادر تمويلنا الزكوات والصدقات سواء من أفراد أو شركات

مكتبنا بالسودان يدير ٦ مستشفيات و٢٠ مستوصفاً وبرامج صحية أخرى

● **يعني من يشتري من تلك المحلات التابعة لكم يتبرع من حيث لا يدري، أليس كذلك؟**

– نعم هو يستفيد الأجر والثواب، ونحن نستفيد من تلك الأموال في إنفاقها على المرضى المحتاجين، فالكل مستفيد بعون الله تعالى.

● **هل تقدمون المساعدة للمرضى خارج حدود الكويت؟**

– معظم عملنا الأساسي يتم تقديمه للمرضى داخل دولة الكويت، لكن من يفضل العمل في القطاع الصحي خارج الكويت فعندنا إدارة المشاريع الخارجية، التي ترعى المشاريع الصحية خارج الكويت، ولدينا مكتبان في الخارج، أحدهما باليمن، والآخر بالسودان، ومكتب السودان كبير جداً ولله الحمد، حيث يدير ٦ مستشفيات، و٢٠ مستوصفاً، بالإضافة إلى البرامج الصحية الكثيرة التي يقوم بها، فيعتبر ثاني أكبر مركز خدمات بعد وزارة الصحة، ومكتب اليمن أحدث من نظيره في السودان، وهو ما زال في طور النمو.

● **كيف ترى الواقع الصحي في العالم الإسلامي؟**

– هناك دول حباها الله بالرخاء والأموال والإمكانات مثل دول الخليج، ودول أخرى تعاني نقصاً شديداً في الإمكانات والأموال، وهناك دول دون الخط المعقول، وهي محتاجة إلى مساعدات إخوانهم، لسد الحاجات الصحية الموجودة عندهم.

فالواقع العام إذا قمنا باستثناء دول الخليج، سنجد أن كل الدول في حاجة إلى دعم ومساندة، وعندما تقوم بالتجوال في دول العالم العربي والإسلامي، وتزور المراكز الصحية والمستشفيات، ستلاحظ أنها في حاجة ماسة إلى الدعم والمساعدة، سواء على مستوى الأجهزة والكوادر الطبية، أو على مستوى المرضى أنفسهم، وخصوصاً الدول التي تعاني من كوارث طبيعية مثل إندونيسيا وغيرها، أو كوارث الحروب كالصومال واليمن.

● **هل نستطيع في العالم العربي والإسلامي أن نصل إلى مصاف الدول المتقدمة طبياً، بصرف النظر عن إمكانات كل دولة؟**

– هذا الأمر يحتاج إلى وقت، لكنه ممكن، لأنك إذا سافرت إلى الدول المتقدمة ستجد الكثير من الأطباء العرب والمسلمين يعملون في أرقى وأكبر المستشفيات، وبالتالي المسلمون قادرون على مواكبة التطور والرقي، خاصة أنهم يعملون في مستشفيات تقدم خدمات عالية، ولكن المشكلة أن بعض الأنظمة لا تضع في اهتمامها الوصول إلى هذا التقدم الطبي الذي نطمح إليه، فإذا تم إصلاح النظام والاستعانة بآليات جديدة سواء في الإدارة أو التجهيزات؛ بلا شك نستطيع أن نرتقي لنصل إلى مصاف الدول المتقدمة.■

أيادي الخير الكويتية تمتد إلى آلاف المرضى..

«الرحمة العالمية» ترجمت العمل في القطاع الصحي إلى مشروعات متميزة

الأرقام الصادرة من منظمة الصحة العالمية تؤكد أن هناك نحو ١٠٠ مليون إنسان حول العالم يقعون في براثن الفقر المدقع، مجبرين على العيش بدخل أقل من ١,٩٠ دولار أمريكي يومياً، لأنهم يضطرون لدفع تكاليف الخدمات الصحية من جيوبهم الخاصة؛ لذا كان على مؤسسات العمل الخيري دور تجاه الخدمات الصحية التي تقدم للمحتاجين وغير القادرين على تحمل تكلفة العلاج.. في هذا التقرير، نسلط الضوء على دور إحدى الجمعيات الخيرية الكويتية، وهي جمعية الرحمة العالمية في المجال الصحي.

• مستشفى الكويت الدولي بغزة

سامح أبوالحسن

تعد جمعية الرحمة العالمية من أبرز الجمعيات الخيرية الكويتية التي اتخذت لها إستراتيجية خاصة في تعاملها مع المشروعات المختلفة، سعت من خلالها إلى تحقيق الأهداف الإنمائية للأمم المتحدة؛ حيث كان هدفها الأول متمثلاً في القضاء على الفقر من خلال المجمعات التنموية والتعليمية والمزارع الإنتاجية ودور الأيتام والمشروعات التنموية الصغيرة، كما استهدفت القضاء على الجوع من خلال رعاية الأيتام بتوفير نظام غذائي متكامل، وتسيير القوافل الإغاثية، وتمثل هدفها الثالث في الصحة الجيدة والرفاه من خلال عملها في المجال الصحي الذي نحن بصدد الحديث عنه.

ولجمعية الرحمة العالمية رؤية لتطوير القطاع الصحي من خلال إنشاء مستشفى متكامل في كل دولة من مناطق عملها، يساهم في تطوير مستوى الخدمة الصحية، حيث يخدم المستشفى الأماكن الأشد حاجة للرعاية الصحية.

وتحرص الرحمة العالمية على توفير العناية بالصحة العامة للأيتام والمحتاجين والمساهمة في القضاء على الأوبئة والأمراض، وذلك بإنشاء المؤسسات الصحية المختلفة من مستشفيات ومستوصفات ومراكز صحية وعيادات ودعم المؤسسات الصحية بالأجهزة والتجهيزات الطبية، بالإضافة إلى المستشفيات والعيادات الطبية الموجودة في مجمعات الرحمة التنموية التي تقدم رعاية صحية بجودة عالية لأيتام المجمعات، كما أنها توفر الخدمة الصحية لأهالي المنطقة المحيطة بالمجمع بتكاليف رمزية.

ويعد العمل الصحي في جمعية الرحمة العالمية من المحاور الأساسية التي تعمل من خلالها إلى جانب التعليمية والتنموية، وقد ترجمت العمل من خلال هذا المحور في مجموعة من المشروعات، بعضها يتمثل في المستشفيات التي تحتوي على معظم التخصصات كالمستشفى الدولي في هرجيسيا، ومستشفى الرحمة في جيبوتي، ومركز جراحات المخ والأعصاب والقلب ومستشفى الكويت الدولي في غزة، وغيرها من المشروعات الصحية مثل المستوصفات والعيادات والقوافل الطبية.

وضعت رؤية لتطوير القطاع الصحي في الدول الفقيرة عبر المستشفيات المتكاملة

أنشأت ٤٢ مستشفى و١٢ مستوصفاً و٢٣١ عيادة طبية بالدول التي تعمل بها

التميز والريادة

العمل الطبي عمل إنساني تقدمه جمعية الرحمة العالمية لمن يحتاجه، كما أن أهم ما يميزها أنها موجودة في الميدان، واستطاعت استقطاب مجموعة متميزة من المستشارين المتميزين في مستشفياتها، وبالتالي تقديم خدمات مميزة لمن لا يقدر على تكاليف العلاج والدواء.

وتسعى جمعية الرحمة العالمية للوصول إلى كافة المناطق من خلال مشروعاتها الصحية المتنوعة، فتصل إلى المناطق النائية عبر القوافل الطبية التي تقوم على تسييرها من خلال مستشفياتها المتواجدة في المناطق المختلفة، بل تسعى إلى الوصول إلى من يريد العناية الصحية بكل السبل.

وقد كان للرحمة دور بارز في القطاع الصحي في البلدان المختلفة، من خلال إنشاء ٤٢ مستشفى، و١٢٠ مستوصفاً، و٢٣١ عيادة طبية داخل وخارج المدارس في الدول التي تعمل بها، وتوريد وتشغيل ٣٠ سيارة إسعاف للداخل السوري، وإنشاء مقر لبرنامج غزة للصحة النفسية، وتوفير ١٤٥٧ كرسياً للمعاقين، وتنفيذ ١٨٩٥٦ عملية إزالة للمياه البيضاء، وتسيير ٣٠١ قافلة طبية، وتقديم رعاية صحية لـ٨٨٤٠ طفلاً من فاقدي المعيل دون سن الخامسة، وتنفيذ ١٤٦٠ عملية لمكافحة العمى وأمراض العيون في اليمن.

مستشفى مجمع الرحمة في جيبوتي:

مستشفى الرحمة في جيبوتي يعد الأفضل، حيث يتم ترحيل الحالات الصعبة له دوماً، وهو الوحيد الذي يحتوي على جهاز للرنين المغناطيسي على مدار ٢٤ ساعة، وصيدلية كبيرة، وقسم للولادة، بالإضافة إلى عيادة للعيون تحتوي على أجهزة متطورة لمعالجة العديد من الأمراض، كما يقدم قسم النساء والتوليد جميع أنواع الخدمات التي تشمل الولادة بدون ألم، بالإضافة للحضانات للأطفال الخدج وغرفة للولادة القيصرية مجهزة بأجهزة متطورة، كما تم افتتاح قسم الرنين المغناطيسي، الذي يعمل على مدار الساعة، ويساهم في خدمة شريحة كبيرة من المواطنين والمقيمين.

المستشفى الدولي في هرجيسيا بالصومال:

مستشفى هرجيسيا الدولي بالصومال من ضمن أضخم مشروعات جمعية الرحمة العالمية، ويشتمل على العديد من التخصصات كالأنف والأذن والنساء والتوليد والعظام والجراحة والمسالك والباطني والأطفال والعيون والأسنان، بجانب قسم التحاليل الطبية، وقسم الأشعة الذي يحوي أشعة إكس وأشعة تلفزيونية (sonar) رباعي الأبعاد وجهاز أشعة مقطعية، وأيضاً صيدلية بها جميع الأدوية الحديثة، كما يوجد بالمستشفى وحدة الطوارئ والاستقبال، وجناح عمليات خلال ٢٤ ساعة.

وتسعى جمعية الرحمة العالمية من خلال مستشفى هرجيسيا أن يكون لها دور توعوي تثقيفي، حيث إن القائمين على التدريس والتعليم في أغلب المؤسسات هم أطباء حديثو التخرج، مما ينعكس على المستوى العلمي لخريجي هذه الجامعات والمدارس، وقد شعرت جمعية الرحمة العالمية بمدى الحاجة إلى مؤسسة تعليمية تدريبية طبية تعتني بالتدريب والتعليم الطبي على أسس علمية حديثة، بكوادر مؤهلة للتعليم والتدريب، ولذلك بدأ المستشفى الدولي في هرجيسيا بالاهتمام بهذا الجانب، حيث أقام العديد من الدورات التدريبية للأطباء في صومالي لاند.

مستشفى الكويت الدولي بغزة:

تم افتتاح مستشفى الكويت التخصصي في غزة عام ٢٠٠٧م، ويقع في منتصف مدينة رفح جنوب القطاع، وبلغت مساحة المستشفى نحو ١٢٠٠ متر مربع، كما يستوعب المستشفى ٣٠ سريراً، وبه ١٠ أقسام، و١٣ عيادة تخصصية، يقدم المستشفى الخدمة الطبية لنحو ٤٠ ألف مواطن على مدار العام، ويُجري أكثر من ١٠٠٠ عملية جراحية سنوياً، بالإضافة لما يقرب من ١٥٠٠ حالة ولادة، ويستفيد من المشروع المواطنون الفلسطينيون في قطاع غزة والضفة الغربية.

مستوصف الساير في السودان:

يعد مستوصف محمد ناصر الساير وأولاده في السودان صرحاً صحياً متكاملاً، أنشئ على مساحة ٧٥٠ متراً مربعاً، يحوي غرفة عمليات صغرى، وعملاً للفحوصات المخبرية، وقسماً للرعاية الصحية الأولية، وصيدلية، وقسماً للنساء وآخر للرجال، و٤ أسرة لطوارئ الرجال ومثلها للنساء، وطبيبين اثنين، واختصاصي أطفال، وممرضات وممرضين، ويقع المستوصف على بعد ٣٨٥ كيلومتراً جنوب العاصمة الخرطوم.

• المستشفى الدولي في هرجيسيا بالصومال

العيادات المتنقلة تهدف إلى توفير تكاليف التنقل على السوريات من المخيم إلى العيادات المنتشرة على الحدود

العيادات الطبية المتنقلة:

أطلقت جمعية الرحمة العالمية مشروع «العيادات الطبية المتنقلة» لعلاج النازحين السوريين؛ سعياً منها لتقديم الرعاية الصحية والخدمات الطبية لجميع المرضى، وتحتوي على عيادة للأطفال والنساء وأخرى للرجال، إلى جانب غرفة استقبال؛ بهدف علاج الأمراض في بدايتها قبل وصولها إلى حالات متقدمة يصعب علاجها.

واستهدفت جمعية الرحمة من هذا المشروع توفير أجور النقل على الأمهات من المخيم إلى العيادات المنتشرة على الحدود، وإجراء العمليات الصغيرة داخل العيادات المتنقلة، ويسهم هذا المشروع في الإنذار المبكر للأمراض المعدية المنتشرة في المخيمات التي يتم دراستها من خلال تلك المستوصفات المتنقلة، أما الحالات المستعصية فيتم نقلها إلى المستشفيات القريبة.■

التأمين الصحي وفق قرارات المجامع الفقهية

حامد العطار
باحث في الشريعة الإسلامية

لا يختلف اثنان حول أهمية الصحة والعافية، وفي كون الصحة من أسباب السعادة في الدنيا، وهي في الإسلام كذلك، فقد لفت الإسلام النظر إلى تفضيل الصحة على الثروة باعتبارها سبباً من أسباب الراحة والسعادة، ففي الحديث: «سلوا الله العافية؛ فإنه لم يُعط عبد شيئاً أفضل من العافية، وعليكم بالصدق والبر فإنهما في الجنة، وإياكم والكذب والفجور فإنهما في النار» (أخرجه أحمد، وصححه الأرنؤوط).

تنبهت شركات التأمين إلى تخوف الناس من تضرر صحتهم وعافيتهم، فأدرجت التأمين الصحي ضمن أنواع التأمين الأخرى التي تقدمها، مثل التأمين ضد الموت أو الحرائق أو حوادث السير أو الغرق أو السرقة.

وفيما يلي عرض سريع لموقف المجامع الفقهية من كل نوع من هذه الأنواع:

أنواع التأمين الصحي:

تنقسم الجهات التي تنظم خدمة التأمين الصحي إلى عدة أنواع، يختلف كل منها في آليات عمله ونظمه التي تختلف نظرة الفقه إليها بناء على ذلك، ومن هذه الأنواع:

الأول: التأمين الصحي الذي تقدمه الدولة:

وهو الذي تقوم به الدولة لمصلحة الموظفين والعمال، فتؤمنهم من إصابة المرض والشيخوخة، ويسهم في حصيلته كل من المستفيدين وأرباب الأعمال والدولة بنسب محددة، ويكون -في الغالب- إجبارياً لا يقصد من ورائه تحقيق الربح.

وهذا النوع جائز بإجماع العلماء المعاصرين، وفي هذا صدر قرار مجمع البحوث الإسلامية في مؤتمره الثالث المنعقد بالقاهرة في ١٧ رجب ١٣٨٦هـ/ ٢٧ أكتوبر ١٩٦٦م الذي جاء فيه: «أما التأمين التعاوني والاجتماعي، وما يندرج تحتهما من التأمين الصحي ضد العجز والبطالة والشيخوخة، وإصابات العمل، وما إليها، فقد قرر المؤتمر الثاني جوازه».

الثاني: شركات تأمين تقليدية:

وفي هذا النوع يتم اتفاق يلتزم بموجبه شخص أو مؤسسة تتعهد برعايته بدفع مبلغ محدد، أو عدد من الأقساط لشركات التأمين التقليدية؛ على أن تلتزم هذه الشركات بتغطية العلاج، أو تغطية تكاليفه خلال مدة معينة.

أما حكمه، فأغلب علماء العصر يحرمون هذا النوع من التأمين، وبحرمته صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي، وهذا نصه: «إذا كان التأمين الصحي عن طريق شركة تأمين تجاري فهو غير جائز».

الثالث: شركات التأمين التعاوني أو التكافلي:

في هذا النوع، تقوم شركة التأمين بتنظيم خدمة التأمين بين المستأمنين، حيث يدفع كل مشترك القسط التأميني ليحظى مقابله بالعلاج، وتكون هذه الأقساط من حق المستأمنين، لا من حق الشركة المنظمة، وتنال الشركة المنظمة أجراً مقطوعاً أو منسوباً نظير تنظيم الخدمة واستثمار الأقساط.

وهذا النوع جائز بإجماع علماء العصر ولا خلاف فيه. (مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع للمنظمة، الدورة الثالثة عشرة، ٣/٣٧٨).

وهذا نص قرار مجمع الفقه الإسلامي: «إذا كان التأمين الصحي عن طريق شركة تأمين إسلامي (تعاوني أو تكافلي) تزاول نشاطها وفق الضوابط

الشرعية التي أقرها المجمع في قراره رقم (٢/٩) بشأن التأمين وإعادة التأمين، فهو جائز».

الرابع: نظام التكافل الجماعي الصحي:

ومن الصور التي تطبقها بعض شركات التأمين الإسلامية هذه الصورة، حيث عمدت إلى بناء نظام التكافل الجماعي الصحي الذي يهدف إلى تحقيق التكافل بين المشتركين في حالة مرض أحد العاملين الأعضاء مرضاً طبيعياً، أو مرض أحد أفراد عائلات العاملين الأعضاء مرضاً طبيعياً خلال فترة الاشتراك، وفي الحالتين يتم التكافل مع المستفيد بدفع مزايا التكافل المتفق عليها في العقد وفقاً لما نص عليه في النظام، وتدفع مزايا التكافل للمستفيد بإعطائه شيكاً في فترة لا تتجاوز شهرين من تاريخ تكملة المستندات والبيانات اللازمة، فالشركة لا تتعاقد مع المستشفى على معالجة المستفيدين مسبقاً نظير مبلغ محدد، وإنما الذي يتعاقد مع المستشفى هو المستفيد نفسه بعد حدوث المرض.

أما حكمه، فهو جائز شرعاً (انظر بحوث مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع للمنظمة، الدورة (١٣) ٣/٤٦٧).

الخامس: العقد بين المؤسسات والمستشفيات:

الاتفاق بين المؤسسات والمستشفيات للتعهد بمعالجة الموظفين طيلة فترة معينة لقاء مبلغ معين، مع الالتزام بالدواء والعمليات ونحوها.

السادس: العقد بين الشخص والمستشفى:

وهذه الصورة تعني أن شخصاً تعاقد مع المستشفى على أن يدفع للمستشفى مبلغاً معيناً نظير تعهد المستشفى بعلاجه مدة معينة مع التزام المستشفى بالدواء والعمليات ونحوها.

أما حكم هذين النوعين (الخامس والسادس)، فقد ناقشت بحوث الدورة الثالثة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي هاتين الصورتين، واختلفت البحوث المقدمة في حكمهما، فذهب الصديق الضرير، ويوسف المنياوي إلى تحريمهما لما يكتنفهما من الغرر، وإن كان المنياوي أجاز الصورة الأولى إذا فرضتها الدولة، وكذلك إذا لم يلتزم المستشفى بتقديم الدواء، وذهب د. محمد جبر الألفي إلى الجواز.

إجماع على جواز التأمين الصحي الذي تقدمه الدولة للموظفين ويسهم فيه المستفيدون والدولة

وتظهر ثمرة الخلاف في المسألة في موقف المستفيد وهو الموظف من خدمات المستشفى؛ فعلى القول الأول يلزم عليه الجواز لصحة العقد عندهم.

أما على القول الثاني فيحتمل وجهين:

الأول: التحريم بناء على فساد العقد، وما بني على باطل فهو باطل.

الثاني: الجواز، بناء على أنه تأمين إجباري من المؤسسة لا خيار للموظف فيه، أو هو هبة من المؤسسة للموظفين، وتتحمل إثم الإجراء المحرم وحدها دون الموظفين، كما في الشركات المختلطة.

وفيه شبهة لوجود من قال بجوازه، وهو متاح من قبل المستشفى للموظفين لمن شاء، وليس فيه أكل لمال أحد بالباطل، والأصل في المعاملات الإباحة، وهو من الحاجة التي تنزل منزلة الضرورة، فيقال بجوازه لتعلق الصحة بالضروريات في كثير من جوانبها.

وبعد مناقشة البحوث المقدمة، أصدر المجمع رأيه بالجواز بشرط تقليل الغرر، وهذا نص القرار: «إذا كان التأمين الصحي مباشراً مع المؤسسة العلاجية فإنه جائز شرعاً بالضوابط التي تجعل الغرر يسيراً مغتفراً مع توافر الحاجة التي تُنزل منزلة الضرورة لتعلق ذلك بحفظ النفس والعقل والنسل وهي من الضروريات التي جاءت الشريعة بصيانتها».

ومن الضوابط المشار إليها:

١- وضع مواصفات دقيقة تحدد التزامات كل من الطرفين.

٢- دراسة الحالة الصحية للمستأمن والاحتمالات التي يمكن التعرض لها.

٣- أن تكون المطالبات المالية من المؤسسة العلاجية إلى الجهة مرتبطة بالأعمال التي تم تقديمها وليس بمبالغ افتراضية كما يقع في شركات التأمين التجارية.■

«شرق الفرات».. العملية العسكرية التركية القادمة في سورية

تتركز التصريحات الرسمية التركية على مدى الأشهر الماضية على مناطق شرق الفرات في سورية، حيث تتموضع قوات سورية الديمقراطية، أحد التمظهرات العسكرية لحزب الاتحاد الديمقراطي، مهددة بعملية عسكرية ضد هذه القوات على غرار عمليتي «درع الفرات»، و«غصن الزيتون».

ومع تصاعد وتيرة التصريحات والتهديدات، قصفت الطائرات والمدافع التركية مواقع لقوات سورية الديمقراطية أكثر من مرة، مؤكدة جدية أنقرة في تهديداتها وعزمها على مواجهة المشروع الانفصالي لحزب الاتحاد.

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

«شرق الفرات» يعتبر الخطر الأكبر الذي يشكله الاتحاد الديمقراطي رغم تقويضها امتداداته في الوسط والغرب

تركيا لم تتخلَّ عن مواجهة الاتحاد الديمقراطي رغم صعوبة ذلك بسبب التدخل الأمريكي المتوقع

تطور الموقف التركي من الثورة السورية على مدى السنوات الماضية وتبدل أكثر من مرة، تأثراً بعدة عوامل في مقدمتها التطورات الميدانية في الداخل السوري، والمقاربة الإقليمية والدولية للقضية السورية، وانعكاسات المشهد التركي الداخلي قوةً وضعفاً وتفرغاً وانشغالاً.

المقاربة الدولية للأزمة السورية كانت وما زالت عاملاً مؤثراً في صياغة الموقف التركي؛ حيث انتقل هذا التوصيف وتنقل بسرعة من تحركات شعبية احتجاجية إلى ثورة سلمية إلى ثورة مسلحة إلى حرب أهلية إلى حرب على الإرهاب، وهي اللافتة المرفوعة على مدى السنوات الأخيرة التي غيرت المعادلة السورية ومواقف مختلف الدول مما يحصل فيها وعلى أطرافها.

وبتأثير من ذلك -إضافة لعوامل أخرى مهمة- تغير الموقف التركي من الدعوة إلى إصلاحات سياسية وديمقراطية في شهور الثورة الأولى، إلى الدعم السياسي للمعارضة السورية ونزع الشرعية عن نظام «الأسد»، إلى الدعم المفتوح بكافة أشكاله -بما فيها العسكرية- للمعارضة السورية التي اتخذت من إسطنبول مقراً لها، إلى دعم الحل السياسي ومسار التفاوض في كل من جنيف ثم أستانا، إلى الحديث عن إمكانية بقاء «الأسد» في الفترة الانتقالية، إلى التدخل العسكري المباشر في عمليتي «درع الفرات»، و«غصن الزيتون»، وصولاً إلى الجهود الحالية على عدة جبهات مثل مسار أستانا والإطار الثلاثي الضامن لوقف إطلاق النار في سورية واتفاق سوتشي بخصوص إدلب والاهتمام الخاص بشرق الفرات.

وفي خضم كل هذه التطورات في دولة جارة مثل سورية، ومع انعكاسات ما يجري على الأرض السورية على تركيا بشكل مباشر أو غير مباشر؛ سياسياً واقتصادياً وأمنياً واجتماعياً، تتبدى لدى تركيا أولويات واضحة في القضية السورية حالياً، تتقدمها الأولوية الأهم -التي تكاد تنظم الموقف التركي بشكل شبه منفرد- وهي مواجهة مشروع حزب الاتحاد الديمقراطي، ويضاف لها ثانوياً أولويات مثل وقف إطلاق النار في عموم الأراضي السورية، والتمهيد للحل السياسي وعودة اللاجئين إلى مواطنهم، وغيرها.

ترى أنقرة في الحزب امتداداً سورياً لحزب إرهابي هو العمال الكردستاني الذي يخوض حرباً انفصالية ضد الدولة التركية منذ عام ١٩٨٤م، سقط ضحيتها أكثر من ٤٠ ألف مواطن تركي، فضلاً عن تأثيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما أن مشروعه الانفصالي -على شكل دويلة أو ممر أو نظام فيدرالي أو غيرها- خطر على أمنها القومي، باعتبار أن أي كيان سياسي يحكمه حزب الاتحاد قد يتحول سريعاً إلى منصة تدريب وإطلاق عمليات عسكرية ضدها مثل حال جبال قنديل في العراق حالياً، فضلاً عن التعقيدات المتوقعة في الملف الكردي الداخلي في تركيا.

من التحفظ للتدخل

يقضي مشروع حزب الاتحاد الديمقراطي بتشكيل كيان سياسي في الشمال السوري يمتد من حدود العراق شرقاً حتى مياه المتوسط غرباً، بحيث يشمل ما سميت بـ«الكانتونات» الثلاثة: عين العرب/كوباني، والجزيرة في الشرق، وعفرين في الغرب.

في السنوات الأولى، ورغم

موقفها السياسي الواضح في دعم المعارضة السورية ورفض شرعية النظام، بقيت تركيا متحفظة في التدخل المباشر في الأزمة السورية، معتبرة أن هناك أطرافاً تريد جرّها للمستنقع السوري، وفق تعبير أكثر من قيادي تركي حينها، ما أدى لتوجيه انتقادات لأنقرة باعتبار أن موقفها «متردد»، وسمح لآخرين بالتدخل وممارسة أدوار مؤثرة بالاتجاه الآخر.

لكن تطورات السنوات الأربع الأخيرة، ولا سيما ما يتعلق بمشروع حزب الاتحاد والدعم غير المسبوق الذي توفره له واشنطن، بدلت الموقف التركي جذرياً وأخرجت أنقرة عن تحفظها وفي توقيت غير متوقع البتة.

فبعد حوالي شهر ونصف شهر فقط من المحاولة الانقلابية الفاشلة وتداعياتها على تركيا سياسياً واقتصادياً وحتى عسكرياً، من خلال الضرر المعنوي الذي أصاب المؤسسة العسكرية وعملية إعادة هيكلتها، نفذت تركيا عملية «درع الفرات» في الشمال السوري، ابتداءً من أغسطس ٢٠١٦ وحتى مارس ٢٠١٧م، النتيجة المباشرة لهذه العملية كانت قطع التواصل الجغرافي بين الكانتونات الثلاثة في الشرق والغرب، وبالتالي غرس خنجر في مشروع دولة الحزب، وفق تعبير الرئيس التركي.

وفي يناير ٢٠١٨م، أطلقت أنقرة عملية «غصن الزيتون» شمال غرب سورية، طاردة وحدات حماية الشعب، الذراع العسكرية لحزب الاتحاد، من منطقة عفرين، وبالتالي القضاء نهائياً على إمكانية وصولها لمياه المتوسط؛ ما يعني ضربة مباشرة لفكرة الدويلة المستقلة التي يمكنها تصدير منتجاتها، وخصوصاً النفط والغاز، بنفسها دون الحاجة لدول الجوار، وهو عامل أساسي في المشروع الانفصالي.

التغول التركي بسورية

رغم عمليتي «درع الفرات» و«غصن الزيتون» المؤثرتين في مسار المشروع، اللتين أعطيتا تركيا يداً عليا، وأعادتا حضورها في الملف السوري بزخم غير مسبوق، فإنها لا تراهما كافيتين لتأمين حدودها وأراضيها وحفظ أمنها، بل ما زالت تنظر لمناطق شرق الفرات على أنها الأساس والجوهر -وبالتالي الخطر الرئيس- في المشروع الانفصالي.

تعتبر الولايات المتحدة قوات سورية الديمقراطية، التي تشكل وحدات حماية الشعب عمودها الفقري، فاعلاً محلياً موثوقاً وقادراً على مواجهة ما يسمى بـ«تنظيم الدولة الإسلامية» (داعش)، وهناك شرق الفرات، عمّقت علاقاتها بها ودعمها لها، من خلال الإسناد والتدريب والتسليح، محولة هذه المجموعات إلى شبه جيش نظامي يعد مقاتلوه بعشرات الآلاف، كما أن هذه القوات تعطي المسوغ وشيئاً من الشرعية للتواجد الأمريكي العسكري شرق الفرات على امتداد ١٤ نقطة عسكرية منها قاعدتان عسكريتان.

ترى تركيا في هذه المناطق الخطر الأكبر الذي يشكله حزب الاتحاد الديمقراطي رغم تقويضها لامتداداته في الوسط والغرب، فهذه المناطق تعتبر أرضاً واسعة يسيطر عليها الحزب وتشكل حوالي ثلث مساحة سورية، بما في ذلك الثروات البشرية والاقتصادية والزراعية والمائية وموارد الطاقة من نفط وغاز، بما يجعلها بحق خزان سورية الاقتصادي.

ما المتوقع إذن؟

بالنسبة لأنقرة، يتعلق الأمر بالأهداف أكثر مما يتعلق بالوسيلة والشكل؛ بمعنى أن ما تريده هو تقويض إمكانات حزب الاتحاد الديمقراطي لتأسيس كيان سياسي يحكمه على حدودها الجنوبية، وتقليل حجم نفوذه وسيطرته في المنطقة، وهو ما يطرح فكرة الحلول الوسط الممكنة ما بين التمنع والاجتياح العسكري، ومنها:

أولاً: استمرار القصف الجوي والمدفعي لمواقع قوات سورية الديمقراطية، وربما يمتد الأمر لاستهداف بعض قياداتها.

ثانياً: التوافق مع الولايات المتحدة على إخراج قوات سورية الديمقراطية من بعض البلدات الحدودية، مثل تل أبيض، بما يخدم فكرة حماية الحدود والداخل التركيين.

ثالثاً: تخفيض نسبة المساحات التي تسيطر عليها قوات سورية الديمقراطية وإخراجها من بعض المدن والبلدات ذات الأغلبية العربية، الرقة على سبيل المثال.

رابعاً: تخفيض نسبة سيطرة العناصر الكردية، وحدات حماية الشعب -تحديداً- على قوات سورية الديمقراطية، من خلال رفدها بأعداد مقبولة من العناصر الأخرى، وتحديداً التركمانية والعربية، بما يقلل من نفوذ حزب الاتحاد الديمقراطي ومن خلفه حزب العمال الكردستاني عليها.

يبقى أخيراً أن نقول: إن المسار الإيجابي للعلاقات التركية - الأمريكية مؤخراً يرفع من مستوى القدرات والممكنات التركية، ولعله من ضمن العوامل التي رفعت الموقف التركي من مستوى التصريحات لمستوى القصف المباشر نهاية أكتوبر وبداية نوفمبر الماضيين، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أن أنقرة قادرة على إنفاذ هذه الحلول، وأن واشنطن لن تعمل على فرملتها من جهة، ولا يعني أيضاً أن أنقرة قد تخلت تماماً ونهائياً عن فكرة مواجهة حزب الاتحاد الديمقراطي ومشروعه بشكل كامل وشامل في مناطق شرق الفرات من جهة أخرى.■

انتهاكات متواصلة ضد «الأويجور»

إعدام رجل أعمال أدى الحج.. ومليون صيني في منازل المسلمين للتجسس!

تواصل السلطات الصينية حملات انتهاك جماعية وممنهجة لحقوق الإنسان ضد المسلمين الأويجور في منطقة شينجيانج (تركستان الشرقية) الواقعة غربي البلاد.

آخر فصول هذه الحملات عقوبة الإعدام بحق رجل أعمال مسلم يدعى عبدالجبار عبدالرسول من أقلية الأويجور، واستندت السلطات الصينية في قرار الإعدام إلى تهمة قيامه بزيارة مقدسة للحج دون أخذ تصريح حكومي، ويأتي هذا الحكم في سياق مسلسل من الانتهاكات الحقوقية وحملة الاضطهاد الممنهجة ضد أقلية الأويجور المسلمة في إقليم شينجيانج المتمتع بحكم ذاتي تحت إدارة الدولة الصينية.

إعداد - سيف باكير:

نحو مليون صيني كُلّفوا بزيارة منازل المسلمين والإقامة لفترات تصل أسبوعاً!

إخضاع مليون أويجوري بمعتقل سري لبرنامج تلقين مكثف لنبذ الإسلام!

كشفت صحيفة «إندبندنت» البريطانية أن أكثر من مليون صيني من عِرق «هان»، المُسيطر في البلاد، قد انتقلوا -من دون موعِد أو دعوة مُسبقة- للعيش في منازل العائلات المُسلمة من الأويجور لإبلاغ السلطات عمّا إذا كان مُضيفوهم يُبدون مُعتقدات إسلامية أو غير وطنية.

وبحسب ما نقلته الصحيفة البريطانية، في ٢٤ نوفمبر ٢٠١٨م، قال عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي «داريـن بايلـر»: إن الصينيين الذين أرسلتهم الحكومة إلى إقليم شينجيانج كانوا مُكلّفين بمراقبة الإشارات التي قد تدلّ على أن المسلمين الأويجور متطرفون أم لا.

وقالت الصحيفة البريطانية، بحسب ترجمة لموقع «عربي بوست»: إن أولئك المُخبِرين الذين يصفون أنفسهم بأنهم «أقارب» للعائلات التي يُقيمون لديها، يتلقّون تعليمات مُحددة حول كيفية المراقبة.

ويقول «بايلر»: إن أكثر من مليون مدني صيني، يُشار إليهم بأنهم «أقرباء»، كُلّفوا بالذهاب إلى منازل المُسلمين والإقامة لفترات تصل إلى أسبوع في عام ٢٠١٧م.

ويبدو أن ادّعاءه قد تأكّد من قِبل الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي «People's Daily»، التي أفادت بأن أكثر من ١,١

مليون شخص سيقترنون بـ١,٦٩ مليون مواطن من الأقلّيات العرقية، بحلول نهاية سبتمبر من العام القادم.

ويُركّز هؤلاء على عائلات الأشخاص الذين تم احتجازهم بالفعل في مراكز «إعادة التثقيف».

معركة ضد الحلال

ولأن المسلمين المُتديّنين يرفضون تدخين السجائر وتناول الكحوليات، تُعدّ هذه إحدى الطرق التي يُكتشف بها ما إذا كانوا مُتطرّفين، من وجهة نظر الحكومة الصينية.

ويُشير «بايلر»، في بحث نشره مركز آسيا للعلاقات الصينية الأمريكية، إلى أن هناك ملاحظات رئيسة يُدوّنها المُخبرون، حيث يسأل: «هل ألقى المضيف على أحد الجيران التحيّة بالكلمات العربية (السلام عليكم)؟ إن حدث هذا فيجب تدوينه».

ويسأل أيضاً: «هل كانت هناك نُسخة من القرآن في المنزل؟ هل يُصلّي أحدٌ الجمعة، أو يصوم خلال رمضان؟ هل بالأسرة إحدى الأخوات الصغيرات ترتدي ثياباً أطول من اللازم، أو أخٌ ذو لحية مُريبة؟»!

وطالبت السلطات الصينية جميع المسلمين القائمين في إقليم شينجيانج (تركستان الشرقية) الذين يتبعون نهج القرآن الكريم في حياتهم، ويحرّمون شرب الخمر، أو التدخين، أو مشاهدة الرقص؛ بتسليم أنفسهم للسلطات لمحاكمتهم، ووعدت بتخفيف العقوبة عن المتقدمين بتسليم أنفسهم!

وقالت حكومة مدينة هامي بمنطقة شينجيانج: إن الناس الذين «سُمّموا بالتطرف والإرهاب والانفصالية» سيعاملون بطريقة متساهلة إذا استسلموا في غضون ٣٠ يوماً.

وتأتي هذه الخطوة في الوقت الذي تواجه فيه بكين رقابة دولية متزايدة بشأن معاملتها للأقلية المسلمة الأويجورية وغيرها من الجماعات العرقية التي تعيش في شينجيانج.

ويعتقد أن ما يصل إلى مليون من الأويجور تم اعتقالهم ووضعهم في مراكز «إعادة التأهيل»، فيما تدعي الصين أنها حملة قمع للتطرف الديني.

وحذرت رسالة الحكومة للمسلمين في شينجيانج من الاتصال مع الجماعات الإرهابية في الخارج، وأمر أولئك الذين يرفضون المساكن التي توفرها الحكومة أو الكحول أو السجائر على أساس أنها «حرام» بإخطار السلطات.

وتزعم السلطات أن المنطقة تتعرض لتهديد خطير لهجمات من قبل متطرفين إسلاميين يهدفون إلى إثارة التوترات بين الأغلبية الصينية العرقية من الهان والسكان المسلمين.

وفي أغسطس الماضي، صرحت إحدى لجان الأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان أنها تلقت العديد من التقارير الموثوقة عن احتجاز مليون أو أكثر من الأويجوريين والأقليات الأخرى فيما يشبه «معسكر اعتقال مكثف تحيط به السرية».

وتصر الصين على أنها لا تفرض الاحتجاز التعسفي وإعادة التثقيف السياسي.

ومع ذلك، فإن الذين أمضوا بعض الوقت في المراكز يقولون: إنهم أجبروا على الخضوع لبرنامج تلقين مكثف، وحُثوا على نبذ الإسلام، وبدلاً من ذلك الثناء على الحزب الشيوعي الصيني.

نُسخ القرآن وصلاة الجمعة وصيام رمضان.. ملاحظات رئيسة يُدوّنها المُخبرون عن الأويجور

الصين طالبت الذين يتبعون تعاليم القرآن ويحرّمون شرب الخمر أو التدخين بتسليم أنفسهم لمحاكمتهم!

إضافة إلى الاعتقالات الجماعية، تقول جماعات حقوق الإنسان أيضاً: إن الحكومة الصينية رفعت قيوداً كبيرة على الاحتفالات الدينية اليومية في المنطقة.

وفي أكتوبر الماضي، أطلقت عاصمة الإقليم أورومتشي حملة تستهدف المنتجات الحلال، مثل الأغذية ومعجون الأسنان، التي يتم إنتاجها وفقاً للشريعة الإسلامية، من أجل منع ما تعتبره توغلاً للإسلام في الحياة العلمانية!

يشار إلى أن الصين قد حاولت أيضاً منع الناس من صيام شهر رمضان في مقاطعة شينجيانج، العام الماضي، بحسب ما أفادت أنباء.

وبحسب مؤتمر الأويجور العالمي، أمر المسؤولون بفتح كافّة المطاعم وإقرار عدد من الإجراءات التي يبدو أنها مُعدّة لمنع الناس من أداء عبادات الشهر المُقدّس لدى المسلمين.

واتُّهمت السلطات الصينية أيضاً بوضع أطفال من الأويجور وأبناء الأقلّيات العرقية الأخرى قيد الاحتجاز، في دور أيتام تُديرها الدولة، بأنحاء متفرّقة من منطقة شينجيانج، الواقعة غربي البلاد، على الرغم من أن آباءهم وأمّهاتهم على قيد الحياة، ولكن الحكومة أرسلت نحو مليون شخص من البالغين إلى معسكرات الاعتقال.

ويقول «ديلكست راكسيت»، من مؤسسة التجمع العالمي للأويجور، ومقرّها خارج البلاد: إن المسؤولين الصينيين في شينجيانج قد حذّروهم بضرورة تسليم ما لديهم من مواد دينية، مثل القرآن، أو أنهم سيواجهون عقوبات قاسية!■

د. أحمد الراوي رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا سابقاً لـ«المجتمع»:

«التطرف» بين مسلمي الغرب مستورد من الشرق وهناك تضخيم متعمد له

حوار - سعد النشوان:

قال د. أحمد الراوي، رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا سابقاً، في حوار له مع «المجتمع»: إن العمل الإسلامي المؤسسي أصبح في قلب اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا، الذي يضم مؤسسات تتبع ٢٩ دولة أوروبية، ويبقى أكثر المؤسسات انتشاراً.

وأكد أن الحفاظ على الأجيال بحيث يكونون أداة إيجابية في المجتمع، ولهم تأثير إيجابي، ويحافظون على هويتهم، ويدعون غيرهم إلى دينهم وعقيدتهم؛ الهدف الأسمى الذي نطمح ونسعى إلى تحقيقه، وشدد على أن التطرف جذوره محدودة، وله تأثير محدود على بعض الشباب، وأن هذا التأثير أغلبه مستورد من دول المشرق بالدرجة الأولى، ولكن بكل أسف يُراد له أن يتضخم، والإعلام يتحدث عنه بصفة مستمرة؛ من أجل تضخيمه.

● أهلاً بك في الكويت، واسمح لنا في البداية أن تعرفنا بشخصك الكريم؟

- أهلاً بكم، فالكويت كانت وستظل في سويداء القلب؛ لأن بها إخوة وأحبة أعزاء كراماً.

اسمي د.أحمد الراوي، خريج كلية الهندسة، فأنا بالأساس أعمل مهندساً، ودراساتي كلها في مجال الهندسة، وكنت أمارس مهنة الهندسة قبل المجيء إلى بريطانيا، وبعد الهجرة لم أمارس هذه المهنة في بلاد الغرب على الإطلاق، بل تفرغت للعمل الإسلامي منذ منتصف الثمانينيات، قناعة مني أن أجيال المسلمين الناشئة والمستقبلية في أوروبا تحتاج إلى رعاية وعناية، وأن تحافظ على قيم هذا الدين القويم، والقيم الإنسانية والحضارية، وأن تساهم في بناء المجتمع الذي حلت فيه، بحيث تكون عناصر إيجابية حقيقية.

وكانت هناك ندوة لرؤساء وقيادات المؤسسات الإسلامية في أغسطس ١٩٨٤م بالعاصمة الإسبانية مدريد، شارك فيها مؤسسات خيرية إسلامية من أكثر من ١٠ دول أوروبية، وكانت بمثابة القاعدة التي تأسس عليها العمل المؤسسي الأوروبي بعد ذلك، لأننا أصبحنا مقتنعين أننا لا نستطيع منع الطلاب الدارسين من التعامل والاحتكاك مع المجتمعات الأوروبية، خصوصاً أن هؤلاء أصبحوا على قناعة تامة بأنهم أوروبيون، وأن أوروبا بلدهم، فهي مستقبلهم، وهم جزء لا يتجزأ من البلاد التي يقطنون فيها.

من أجل هذا سعينا إلى وضع اللبنة الرئيسة للعمل الإسلامي المؤسسي في أوروبا، خاصة أن العمل الإسلامي في بلاد المسلمين له رجاله وشخوصه، وربما نتواصل معه أو نتقاطع، أو ننفتح عليه، ولكن علاقتنا به تكون علاقة تواصل وتعاون، لا تبعية وارتباط، وسيكون تركيزنا على أجيالنا الجديدة.

ونحمد الله سبحانه وتعالى أن العمل الإسلامي المؤسسي أصبح في قلب اتحاد المنظمات الإسلامية بأوروبا، والاتحاد ليس كل شيء، فهناك منظمات على مستوى أعلى، ومؤسسات ذات خلفيات عرقية ومذهبية، ولكن الاتحاد يضم مؤسسات تتبع ٢٩ دولة أوروبية، ويبقى أكثر المؤسسات انتشاراً، وهذا هو الهدف الذي سعينا إليه.

● هل يتفاعل مسلمو أوروبا

العمل الإسلامي المؤسسي أصبح في قلب اتحاد المنظمات الإسلامية الذي يضم مؤسسات بـ ٢٩ دولة أوروبية

مع العمل الإسلامي؟

– أستطيع القول: نعم، كجواب سريع، ولا شك أن هناك عوائق كبيرة، منها: الخلفيات العرقية، والانحياز للعرق أو القُطر أو الطائفة وغيرها، ونشأت مؤسسات ذات خلفيات عرقية ومذهبية على هذا الأساس، لكن رغم وجود الانسجام الظاهر بينهم، توجد مشكلات كانت مركزة في الأجيال القديمة (أجيالنا)، لكننا سعينا قدر جهدنا إلى أن نوجد مؤسسات ذات انتماء وطني بريطاني فرنسي ألماني كل حسب بلده.

● هل تنعكس المشكلات في البلدان الأصلية على الأجيال المسلمة الجديدة في أوروبا؟

– في ظل وسائل الإعلام المختلفة وبرامج التواصل الاجتماعي، بالقطع ما يحدث في الدول الأصلية يلقي بظلاله على الأجيال المسلمة في أوروبا.

فقبل أحداث ١١ سبتمبر كان المنحنى في صعود بقوة نحو استقرار العمل الإسلامي، واستقرار المؤسسات الإسلامية، وبناء علاقات متميزة مع مؤسسات المجتمع المدني.

وعندما تم إنشاء المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث عام ١٩٩٧م، كان كل أعضائه يحصلون على التأشيرات في اليوم نفسه التي يطلبونها فيه، بصرف النظر عن جنسياتهم، وهذا الأمر غير متاح اليوم.

قبل تلك الأحداث بنينا علاقات مع مؤسسات المجتمع المدني، وقمنا ببناء علاقات بالمشرق الإسلامي؛ في السعودية والإمارات وقطر والبحرين ومصر والمغرب العربي والجزائر، كلها كانت علاقات مؤسساتية إنسانية دون التدخل في الشأن السياسي، وسعينا بكل جدية من أجل تحقيق هدفنا بعيد المدى؛ وهو الحفاظ على وجودنا ووجود أجيالنا المسلمة، بعيداً عن الذوبان والانصهار في المجتمعات الأوروبية، وكان جل هدفنا الحفاظ على هويتنا الإسلامية وثقافتنا وأيديولوجيتنا.

● ما أبرز المشكلات الاجتماعية بين المسلمين في أوروبا؟ وهل تستطيعون التعامل معها؟

– القول بأننا نتعامل ونسيطر على المشكلات الاجتماعية التي تواجهنا في أوروبا بشكل كامل قول لا يصح، ولكن بحمد الله تعالى أستطيع القول: إن منحنى التدين والالتزام داخل الأجيال الجديدة في ارتفاع، رغم كل العوائق التي نواجهها، حيث تم استحداث مؤسسات شبابية كبيرة، ترعى الشباب، وتستقطب الكثير من الطاقات الشبابية.

وعلى سبيل المثال؛ نحن نعيش في إحدى المدن الأوروبية، ونشأ ابني في تلك المدينة، حيث ولد عام ١٩٨١م في بريطانيا، كبر وترعرع ووصل إلى الثانوية، عايش الإشكالات التي يعيشها الشباب مثل المخدرات، والانحلال الجنسي، وبفضل الله تربى في بيت فيه تديُّن، وبه مستوى راقٍ من الحوار بين الآباء والأولاد، فقد رزقني الله ثلاثة أبناء وفتاة واحدة، وأنا لم أقم بضرب أي ولد منهم طوال حياتي، والحمد لله كبروا وتزوجوا، وأصبح لكل واحد منهم بيته الخاص.

ابني عندما تخرج في الجامعة، قام بمساعدة أصدقائه بتشكيل مؤسسة أطلقوا عليها اسم «الصوت»، وكان لديه هدف واحد؛ وهو كيفية المحافظة على الشباب من الانحلال الجنسي وتعاطي المخدرات، كانت البداية ثلاثة (ابني مع اثنين من أصدقائه)، والآن أصبح العدد ٢٠ شخصاً، أعمارهم ما بين ١٨ و٢٠ سنة، يقيمون دروساً بشكل مستمر كل يوم أحد، ويستهدفون الطلاب في المرحلتين المتوسطة والثانوية، وهذا نموذج في إحدى المدن البريطانية، بالرغم من صغر المدينة التي نعيش فيها.

قبل أحداث ١١ سبتمبر كان المنحنى في صعود بقوة نحو استقرار العمل الإسلامي

صلاة العيد تُقام ٣ مرات رغم اتساع المساجد وذلك لكثافة المسلمين وتديُّنهم

وهذا دليل على الانحياز نحو التدين، فعلى سبيل المثال؛ صلاة العيد تُقام ثلاث مرات رغم أن المساجد كبيرة، وذلك يرجع للكثافة العددية للمسلمين، أضف إلى ذلك ما هم عليه من تديُّن وانحياز نحو الالتزام، يحدث ذلك بالرغم من حجم التحديات والتشويه الذي يستهدف الإسلام والمسلمين.

● ما دوركم كحكماء بأوروبا في مواجهة التطرف لدى الشباب المسلم، وخاصة في بريطانيا؟

– لا شك أن أحداث الشرق الأوسط ومشكلاته تلقي بظلالها علينا، خصوصاً بعد ظهور «تنظيم القاعدة»، ثم «داعش»، ولا شك أن لهذه التنظيمات أثراً كبيراً في تشويه صورة الإسلام النقية، ولكن نستطيع القول: هناك مبالغات كثيرة بشأن كثرة هؤلاء المتطرفين على الساحة الأوروبية، والبريطانية على وجه التحديد، فهناك مئات الآلاف من الشباب المسلم المعتدل؛ ففي بريطانيا وحدها يوجد نحو ٣ ملايين ونصف مليون مسلم، لهم مساهمتهم في الشأن السياسي، على مدى ٤ دورات انتخابية، وفي كل دورة يتزايد الأعضاء المسلمون في البرلمان، إلى أن وصل عددهم ١٦ عضواً مسلماً، ورئيس بلدية لندن مسلم من حزب العمال، ووزير الداخلية مسلم من حزب المحافظين، وبفضل الله بدأ المسلمون يأخذون موقعهم بالرغم من أنهم ما زالوا متأخرين نسبياً، لذا فإن التطرف جذوره محدودة، وله تأثير ضئيل جداً على بعض الشباب، وهذا التأثير أغلبه مستورد من دول المشرق بالدرجة الأولى، ولكن بكل أسف يُراد له أن يتضخم في الإعلام، ونجحوا في ذلك بشكل كبير.■

الأندلس.. إباء وذكاء

بقلم - د. عبدالرحمن الحَجّي:
أستاذ التاريخ الإسلامي والأندلسي

الحياة الإسلامية تهيئ أفضل الأجواء لأجود بناء إنساني علمي متحضر، يقوم على الإباء والذكاء في كافة المواقف، الشواهد في ذلك كله جدُّ كثيرة، أينما يكون التوجه في جوانبها المتنوعة، تتوافر شاهدةً على ذلك مما يُدْهِش ويُثير الإعجابَ، شاهِدُنا اليومَ الحياةُ الأندلسية برياضها النَّضِرة البهية.

لابن رَشِيق عدة مؤلفات منها: «ميزان العمل» و«الرسائل والوسائل» وله اختراعات ومناظرات مع القساوسة والرهبان

جَرَتْ مُناظَرةٌ ذكية طريفة تَرِدُ بمناسبة ذكر الجدل الديني، والساحة الأندلسية من أكبر قواعد هذا اللون من الدراسات، ولدينا العديد من الأحداث والعلماء والمؤلفات، سواء من قِبَل المسلمين القادمين أصلاً أم ممن اعتنق الإسلامَ من أهل الكتاب، تأليفاً أو مناظرةً أو نقاشاً[1].

يمكن أن يذكر أحدهم: ابن رَشِيق (ابن عتيق): أبو علي الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التَغْلِبي المُرْسِي السَّبْتي (أواخر: ق٧هـ = ق١٣م، أو نحو ٦٨٠هـ =١٢٨١م)، شاعر من أُدباء الأندلس ومؤرخيها، أصله من مُرْسِيَة Murcia استوطن سبتة Ceuta، وأقام آخر أيامه بغَرناطة Granada[2].

لابن رَشِيق عدة مؤلفات، منها: «ميزان العمل»، وهو كتاب كبير في التاريخ، وكتاب «الرسائل والوسائل»، يحتوي على مراسلات ومناظرات وغيرها، منها هذه المناظرة، لكن تبدو كُلُّها مفقودة، وله اختراعات (نوع شطرنج) ومناظرات مع القسس والرهبان، منها: واحدة في مدينة مُرْسِيَة، تَمّ ذلك وهو لم يزل فتى في مقتبل العمر العلمي، ذلك أن أربعةً من الرهبان والقسس رَغِبوا في مناظرته -كانوا على اطلاع جيد ومعرفة بالإسلام- في موضوع إعجاز القرآن الكريم، دار الكلام حول بيتين من الشعر[3]، زَعَمُوا أنهما عُرِضَا على أُناس عَجزوا جميعاً عن إضافة بيت ثالث لهما، هذا إذن كالإعجاز، هما:

سِمْ سِمَةً يَحْسُنُ آثارُها
واشكُرْ لمنْ أعطى ولو سِمْسِمَهْ
والمَكْرَ مهما استطعتَ لا تَأته
لتنتقي السؤدَدَ والمَكْرُمهْ

يُطْلَبُ أَنْ يَزيدَ أحدٌ عليهما بَيْتاً ثالثاً إبْطالاً لشُبْهَتِهِم، أَخَذَ يناقشهم ويأتيهم بالأدلة كَشْفاً للشُّبْهَة، في نفس الوقت يفكر في بيت يَنْظِمُه في الموضوع، جواباً يُزيل شبهتَهم، تَمّ له ذلك، وكان البيتُ وسَكَتُوا، وأُسْقِطَ في أيديهم[4]:

والمَهْرَ مهرَ الحُور وهو التُّقَى
بَادِرْ البَكْرَةَ والمَهْرَمَهْ

المواقف المُعَبِّرة عن ذلك متنوعة جامعة، كُلُّها تُقَدِّم ما يجعل الأمرَ مأثوراً موفوراً، لا بد من التمثيل: يقدم لنا هذا المثال الوزيرُ الغَرْناطي الشهير لسانُ الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ = ١٣٧٤م). كان ذلك في أحد مواقفه الكثيرة، كُلُّها تدل بقوة على البناء الشرعي الملتزم الذي تَرَبّوا عليه، ذلك

أن «شانْجُهُ الرابع» Sancho IV ملك قَشتاله Castile شَمالي إسبانيا ثار سنة (٦٨١هـ = ١٢٨٢م) على أبيه «ألفونسو العاشر» العالم Alfonso X, el Sabio، وعُرف بميله للعلم، وكانت له صلات مع علماء المسلمين، وهو ما أثار السُّخط عليه في مملكته، استنجد بالسلطان المَريني أبي يوسف يعقوب المنصور، وهُرِعَ الملكُ المخلوع إلى لقائه مستجيراً وَرَهَنَ عنده تاجَه ذخيرةَ قومه[٥]، كان ذلك حين جاز المنصورُ إلى الأندلس غازياً ومجاهداً في سبيل الله: «بأحواز الصخرة من كُورة تاكُرُنّا» قرب مدينه رُنْدة[٦] Ronda ، سَلَّمَ عليه مصافحاً وقَبّلَ يَدَه، لَمّا فَرَغَ أميرُ المسلمين من ذلك طلب الماءَ (بلسان قبيلة زَناتة) لغسل يده به من قُبّلة ومصافحة «ألفونسو».

تُوُفّيَ «ألفونسو العاشر» طريداً سنة ٦٨٣هـ = ١٢٨٤م دون تحقيق أُمْنِيَتِه في العَوْدة إلى عرشه، عند ذلك انفرد ابنُه «شَانْجُهُ الرابع» بالعرش، الذي بدوره رَغِبَ في سِلْم مع المَرينيين، تَمّ الأمرُ وعَقَدَ مع السلطانِ المَريني «يوسف» معاهدةَ سِلْم فقُبِلَتْ، كان اللقاء بالجزيرة الخضراءِ Algeciras جنوب جبل طارق[٧] Gibraltar.

استطاع ابن رشيق مناظرة ٤ قساوسة كانوا مطلعين على الإسلام ورد على حججهم حتى أسقط في أيديهم

ابن الخطيب كان وزيراً نابهاً من أئمة البيان المتعدد الأغراض والشعراء والوشاحين

الشاهد هنا كان يوم جاء رسول إسبانيا النصرانية إلى مملكة غَرْناطَة، تكلم مع رئيس وزرائها (ابن الخطيب) الذي ذَكّره بهذه الحادثة أمام الناس فذُهِلوا، ذُهِلوا جميعاً معجَبين بهذا الموقف الجريء، بل إنّ بعضَهم قَبّلَ يَدَه، حتى لقد بَكَى الحاضرون واصفين الوزيرَ ابنَ الخطيب بولي الله، جعله الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم[٨].

هذا الوزير النابه الشهير يُعدّ من أئمة البيان المتعدد الأغراض والشعراء والوشاحين، موشحاته كثيرة وهذه أبيات من موشحته الذائعة الشهرة قديماً وحديثاً، ومَطالِعُها[٩]:

جَادَكَ الغيثُ إذا الغيثُ هَمَى
يا زمانَ الوَصْلِ بالأندلس
لم يكنْ وَصْلُكَ إلاّ حُلُمَا
في الكَرى أو خلْسَةَ المُخْتَلِس
إذ يقودُ الدهرُ أشتاتَ المُنَى
يَنْقُلُ الخَطْوَ على ما يَرْسُمُ

بمثل هذا الإباء والذكاء مَلأَ الأندلسيون تاريخَهم، نجده وفيراً فيما بَقِيَ من سجلاتهم التي نَجَتْ من الحرق بيد محاكم التفتيش، وبما نال الموريسكيين Los Moriscos من فعالها المشينة المُدينة، حَرْقاً للإيمان والبيان والإنسان لقرون عِجَاف، لكنهم رغم كل ذلك تراهم جميعاً بَقَوْا على عهد الإباء، أداروه بكل ذكاء لإسلامهم وبلدهم الزاهر، الذي اعتبروه أرضَ جهاد ودارَ حضارة، محتملين من أجل دينهم كُلّ التضحيات.■

الهوامش

(١) قَبَس من عطاء المخطوط المغربي، محمد المَنُّوني، ١٠٢٠/٢، ١٠٢ /١٠٣١.
(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، ٤٧٢/١ - ٤٧٦. المِعْيار المُعْرِب، أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، ١٥٥/١١ - ١٥٨. الأعلام، ٢٤٣/٢. تاريخ الأدب العربي، د. عمر فَرّوخ، ٣٢٣/٦ - ٣٢٥. مجلة البحث العلمي، العدد ١٣(١٩٦٨م). الأنيس المُطْرِب، بن أبي زرع، ٣٣٢، ٣٣٩.
(٣) مَقامات الحريري: المَقامة السادسة والأربعين. النوازل الجامعة أو نوازل الجامع، الونشريشي، ١٥٦-١٥٨.
(٤) المعيار المعرب، الونشريشي، ١٥٥/١١ - ١٥٨.
(٥) أعمال الأعلام، ٣٣٢-٣٣٤. نفح، ٣٨٥/٤، ١٢٠/٥. التاريخ الاندلسي، ٥٣٩ - ٥٤٠.
(٦) تعني المدينة المدورة قاعدةً بني مرين، مقراً لانطلاقهم إلى الجهاد في الأندلس. الصخرة: صخرة عباد بأحوازها. الروض المعطار، ١٢٩،٢٦٩. نفح الطيب، ٢٦٥/١، ٦٠٧/٢.
(٧) عِبَرُ ابن خَلْدُون، ٣٩٣/٤. الإحاطة، ٥٦٣/١. نهاية الأندلس، عنان، ١٠٦.
(٨) أعمال الأعلام، ٣٣٣. نفح الطيب، ١٢٠/٥-١٢١.
(٩) المُغرب، ٢٦٩/١. نفح الطيب، ١١/٧-١٤، ٨٢. أزهار الرياض، ٢١٣/٢.

الإجابة للشيخ د. عجيل النشمي

كفارة قتل أكثر من شخص خطأ

● إذا قتل مسلمٌ خطأً أكثر من شخص واحد في الوقت نفسه بحادث سيارة بسبب السرعة، فهل يصوم عن كل واحد شهرين، أم يصوم عنهم كلهم شهرين فقط؟

– هذا قتل خطأ، ويترتب على القتل الخطأ: الدية، والحرمان من الإرث، والكفارة، أما الدية فلقوله تعالى: (وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ) (النساء: ٩٢)، وقوله تعالى: (وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ) (النساء: ٩٢)، والدية تجب على العاقلة، عاقلة الجاني وهو واحد منهم عند أبي حنيفة، ولا يلزمه شيء معهم عند مالك والشافعي وأحمد، وتكون مؤجلة ثلاث سنين لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية المرأة على عاقلتها» (البخاري ٢/٥٢٥، ومسلم ١٣١/٣)، وأما تأجيلها ثلاث سنين فتم بإجماع الصحابة على ذلك، وقد فعل ذلك عمر، وعلي رضي الله عنهما، ولا يشترط الإسلام في وجوب الدية لا من جانب القاتل ولا من جانب المقتول، وكذلك لا يشترط العقل والبلوغ فتجب الدية بقتل الصبي والمجنون اتفاقاً، كما تجب في مال الصبي والمجنون، لأن الدية ضمان مالي فتجب في حقهما.

وأما الكفارة؛ فتجب في القتل الخطأ مع الدية: تحرير رقبة، فإن لم يجد فصوم شهرين متتابعين لقوله تعالى: (وَإِن كَانَ من قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿٩٢﴾) (النساء)، وأنت لم تجد الرقبة فيجب عليك الصوم، لكن إذا ثبت أنك السبب في القتل بزيادة السرعة عن الحد المقرر أو التهور أو أثبت التقرير الرسمي أن الخطأ منك فعليك الدية لأهل الميتين إلا إذا عفوا، وعليك الكفارة وهي عتق رقبة ومادامت الرقاب غير موجودة فعليك صيام شهرين متتابعين عن كل ميت.

الأمور الكفرية التي تخطر على البال

أنا شخص مسلم ومتدين كثيراً والحمد لله، ولكن أحياناً يخطر على البال أمور كفرية، فماذا أفعل؟ وهل أنا محاسب على ذلك؟

– هذا من تعرض الشيطان، فهو يتعرض لأهل الإيمان، وخاصة أهل العلم منهم بوساوس الكفر التي يلقيها إليهم من أجل فتنتهم عن دينهم، قال ابن تيمية: المؤمن يبتلى بوساوس الكفر التي يضيق بها صدره، كما ورد أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به، فقال صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» (أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٣٥) من حديث ابن عباس)، وفي حديث آخر: سئل النبي صلى الله عليه وسلم في الوسوسة: قال: «تلك محض الإيمان» (أخرجه مسلم ١/ ١١٩)، يعني أن حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب، هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه، وإنما صار صريحاً لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانية فدفعوها، فخلص الإيمان فصار صريحاً، قال: ومن الناس من يجيب تلك الوساوس فيصير كافراً أو منافقاً، والشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربه، والتقرب إليه، والاتصال به، فلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم، ويعرض للخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة، ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم ومن وساوس الشيطان في هذا الباب ما نبه إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» (أخرجه البخاري، الفتح (٦/ ٣٣٦)، ومسلم (١/ ١٢٠) من حديث أبي هريرة).

تقديم الزوجة الضيافة للرجال

● هل يجيز الشرع تقديم المرأة المتزوجة الشاي مثلاً أو الطعام لضيوف زوجها سواء كان الزوج موجوداً أو غير موجود حيث يكون مثلاً قادماً في الطريق إلى البيت وقد اتصل بالتليفون يؤكد قدومه؟

– يجوز إذا كانت المرأة في كامل حجابها مع العفة وغض البصر منها ومن ضيوف زوجها، فتضع الشراب والطعام أمامهم، ولا تجلس معهم، وهذا إذا لم تكن عندها خادمة تقوم بذلك عنها، ودليل الجواز ما ورد أنه لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فما صنع لهم طعاماً ولا قربه إليهم إلا امرأته أم أسيد، بلت تمرات في تور (إناء) من حجارة في الليل، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطعام أمائته له –أي: هرسته بيدها– فسقته تتحفه بذلك، ولعلها كانت كبيرة السن.

وأما في حال غيبة الزوج كما لو حضر الضيوف وتأخر الداعي فيجوز مع الشروط السابقة واستئذان زوجها أو طلبه منها ذلك، ووسائل الاتصال في ذلك ميسورة، ويؤيد الجواز ما رواه مسلم أن رسول الله قال: «لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا معه رجل أو اثنان»، ويحتجون كذلك بزيارة أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما لأم هانئ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.■

غضب واسع من إقرار الحكومة التونسية لقانون المواريث

أثار مشروع قانون الإرث الذي وافقت عليه الحكومة التونسية موجة غضب واسعة بين العلماء الذين رفضوا المشروع، مؤكدين أن النصوص إذا كانت قطعية الثبوت والدلالة معاً، فإنها لا تحتمل الاجتهاد، مثل آيات المواريث الواردة في القرآن الكريم، والنصوص الصريحة المنظمة لبعض أحكام الأسرة.

• د. نايف العجمي

أحكام المواريث قطعية الثبوت والدلالة لا يجوز فيها الاجتهاد

سامح أبوالحسن

صادقت الحكومة التونسية على مشروع قانون الإرث، الذي يقضي بالمساواة في الميراث بين الرجل والمرأة، مخالفة بذلك القاعدة القرآنية «للذكر مثل حظ الأنثيين» المعمول بها في الدول الإسلامية.

ومن المنتظر إحالة مشروع القانون حول المساواة في الإرث إلى البرلمان من أجل المصادقة عليه حتى يدخل حيّز التنفيذ، وذلك في حال حصوله على تأييد أغلبية الأعضاء، وكان الرئيس الباجي قائد السبسي قد أعلن في ١٣ أغسطس الماضي عزمه التقدم بمشروع قانون يضمن المساواة بين المرأة والرجل في الإرث، وكلف لجنة الحريات الفردية والمساواة الرئاسية، بتقديم توصيتها حول الموضوع.

هذا، وقد استنكر أستاذ الشريعة بجامعة الكويت وزير الأوقاف الأسبق د. نايف العجمي على الحكومة التونسية مخالفة صريح القرآن الكريم، حيث قال: رب العالمين يقول: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ) (النساء: ١١)، والحكومة التونسية تقول: للذكر مثل حظ الأنثى! رب العالمين يقول بعد آيات المواريث: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) (النساء: ١٣)، والحكومة التونسية تتجاوز حدود الله، وتستدرك عليه سبحانه وتعالى في حكمه، «سبحانك هذا بهتان عظيم»، مؤكداً أن هذا الأمر هو يوم حزين على تونس والأمة الإسلامية!

وتابع العجمي: الحكومة التونسية صدمت العالم الإسلامي حين ساوت بين الذكر والأنثى في الميراث، مبيناً أن هذا القانون ما هو إلا تلبية لمطلب استشراقي، واستجابة لمطلب ليبرالي، فالمستشرقون عبر قرون متعددة وكذلك الليبراليون الغربيون وبعض الليبراليين العرب يطالبون بذلك، ويعتقدون أن الإسلام قد ظلم المرأة حينما جعل نصيبها في الميراث نصف نصيب الرجل، ووافقهم في ذلك المعاصرون كنصر حامد أبو زيد، وحسن حنفي، وغيرهما، الذين يرون أن القرآن العظيم ما هو إلا نص تاريخي يجب أن يفسر وفقاً لمتغيرات الزمن ومعطيات العصر، فهم يرون أن آيات المواريث نزلت في بيئة كانت المرأة محرومة فيها من كل شيء فلا ترث شيئاً، ومع تقدم الزمن يجب أن تعطى المرأة كامل حقها ولا يفضّل الذكر عليها، فلا يوجد لديهم شيء يسمى «للذكر مثل حظ الأنثيين»!

وأضاف العجمي: يجب أن يستقر في أذهاننا أن أحكام المواريث قطعية لا يجوز فيها الاجتهاد من قبل أي شخص كائناً من كان؛ لأن الله عز وجل هو من تولى قسمتها بنفسه، حيث قال الله سبحانه وتعالى: (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ)، حكم رباني قطعي، لا يجوز الاجتهاد فيه إطلاقا، (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ) (النساء: ١١)، (وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ) (النساء: ١٢)، (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ)، (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) (النساء: ١٧٦)، (فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾) (النساء)، ثم يأتي بعد ذلك من يستدرك على رب العالمين في حكمه، ويقول: للذكر مثل الأنثى!

وأكد العجمي أن الاجتهاد في أحكام المواريث القطعية ما هو إلا اتهام لرب العالمين بالظلم؛ (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ) (يوسف: ٤٠)، مبيناً أن من يقول: إن المرأة تأخذ نصف الرجل مطلقاً هو جاهل في حكم المواريث، فالمرأة لا تأخذ نصف ما يأخذه الرجل في الميراث إلا في أربع حالات فقط؛ الأولى هي اجتماع الأم مع الأب، والثانية هي اجتماع البنات مع الأبناء، والثالثة هي الأخوات الشقيقات مع الإخوة الأشقاء، والرابعة هي اجتماع الأخوات للأب مع الإخوة لأب، أما ما سوى ذلك فهناك حالات كثيرة نصيب المرأة فيها أكثر من نصيب الرجل، أما هذه الدعوى فهي باطلة.

وبين العجمي أن أكبر نصيب في المواريث هو الثلثان، ومن يستحقه نسوة، وهن الأخوات الشقيقات والأخوات لأب والبنات وبنات الابن، وإذا أردنا أن نزداد يقيناً في عدالة وقيمة التشريع الإلهي في نصيب الميراث لنقارنه بالديانات السماوية الأخرى أو القوانين الوضعية، ولن نجد قانوناً أعدل من حكم الله في قسمة المواريث؛ (قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) (البقرة: ١٤٠).

ومن الاستدلال المتهافت القول: إن الميراث حق وليس بواجب، بل هو حق واجب، ورب العالمين قال عن المواريث: (فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ)، ولم يقل بهذا القول أحد من المسلمين إلا المستشرقين وأتباع الفكر التغريبي الشاذ، مؤكداً أن الشعوب المسلمة لن تعمل بهذا التعديل ولو تحول إلى قانون.

وأشار العجمي إلى أن قانون تساوي المرأة والرجل بالميراث مضاد لحكم الله، أقره عبدالكريم قاسم في العراق عام ١٩٥٩م، لكن الشعب العراقي لم يعمل به، وأسقطه عام ١٩٦٣م بعد الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكمه، فالشعوب المسلمة لن تقبل بكل ما يضاد حكم الله، ولن تطبقه في حياتها، وهذا هو الظن بالشعب التونسي وبرلمانه.■

ورفعنا لك ذكرك

رفع الله سبحانه وتعالى ذِكْر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر ذلك في القرآن الكريم تكرماً منه على نبيه المصطفى (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ {٤}) (الشرح)، فرفع ذكره وأعلى قدره ونشر اسمه وأظهر دينه ونوّه بشأنه وأعظم فضله؛ بما اختصه به من النبوة والرسالة والكلام والإسراء والمعراج حتى صعد مكاناً لم يبلغه أحد قبله، ولن يبلغه أحد بعده، وكذا بالشفاعة والمقام المحمود.

ومن باب الثناء عليه صلى الله عليه وسلم، أحببت أن أنقل ما قاله بعض المفسرين، وما يشهد عليه بعض الواقع، زيادة في حبه، وتلمساً للاقتداء به في سلوكه حتى يدخلنا الله في دائرة ذكره سبحانه.

لندن - د. أحمد عيسى:
دكتوراه من جامعة برمنجهام. كاتب وأديب

في بريطانيا، فيما كان «أوليفر»، و«هاري»، و«جورج» أكثر الأسماء شعبية للأولاد في البلاد، تبوأ اسم «محمد» صدارة الترتيب في كل من العاصمة البريطانية ويوركشاير وويست ميدلاندز، وأشار علماء الأبحاث إلى أنه إذا أخذت الصيغ المختلفة لكتابة اسم «محمد» بعين الاعتبار، فإنه سيتصدر القائمة[1].

ورفع الذكر مجاز في إلهام الناس لأن يذكروه بخير، وذلك بإيجاد أسباب تلك السمعة حتى يتحدث بها الناس، استعير الرفع لحسن الذكر لأن الرفع جعل الشيء عالياً لا تناله جميع الأيدي ولا تدوسه الأرجل، فقد فطر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على مكارم يعز وجود نوعها ولم يبلغ أحد شأو ما بلغه منها حتى لقب في قومه بالأمين، وقد قيل: إن قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾) (التكوير) مرادٌ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم. (ابن عاشور، التحرير والتنوير).

وعن مجاهد (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾) قال: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرتَ معي؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وعن قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا متشهد، ولا صاحب صلاة، إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله (الطبري).

وفي السعدي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله صلى الله عليه وسلم، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

وفوق ذلك فقد رفعنا لك ذكرك، بأن جعلناك رفيع الشأن، سامي المنزلة، عظيم القدر، ومن مظاهر ذلك: أننا جعلنا اسمك مقروناً باسمنا في النطق بالشهادتين، وفي الأذان، وفي الإقامة، وفي التشهد، وفي غير ذلك من العبادات، وأننا فضلناك على جميع رسلنا، بل على جميع الخلق على الإطلاق، وأننا أعطيناك الشفاعة العظمى، وجعلنا طاعتك من طاعتنا (الوسيط لطنطاوي).

ورفع ذكره قبل أن يخلقه، فتواترت بذكره الكتب المتقدمة حتى قال المسيح عليه السلام: (وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) (الصف: ٦)، وأخذ الله تعالى الميثاق على النبيين بالإقرار به قبل ولادته وبعثه: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾) (آل عمران).

في تقرير لها، قدرت شركة «ديلويت» للخدمات المهنية والاستشارية، عدد المساجد حول العالم بنحو ٣ ملايين و٦٠٠ ألف مسجد، هذا الرقم يعني أن هناك مسجداً واحداً لكل ٥٠٠ مسلم تقريباً، التقرير الذي تم إعداده بالتعاون مع مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي رجح أن يصل عدد المساجد إلى ما يقرب من ٤ ملايين بحلول عام ٢٠١٩م[2].

وبمعنى آخر؛ أن الله تعالى لا يُذكر إلا ويُذكر معه رسوله، فالأذان إلى اليوم يطوف بالأرض ويدور مع دوران الفلك من غير انقطاع في ملايين المساجد، وفق خطوط الطول ودوائر العرض.

قال ابن كثير وآخرون: رفع

استعير الرفع لحسن الذكر لأن الرفع جعل الشيء عالياً لا تناله جميع الأيدي

الله تعالى رفع ذكْر نبيه قبل أن يخلقه فتواترت بذكره الكتب وأخذ الله الميثاق على النبيين بالإقرار به

الله ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به، حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمروا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره في أمته فلا يُذكر الله إلا ذكر معه، وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد، أن المراد بذلك: الأذان؛ يعني: ذكره فيه، وأورد من شعر حسان بن ثابت:

وضم الإله اسم النبيّ مع اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وفي القرطبي: عن ابن عباس، قال: يقول له: لا ذكرت إلا ذكرت معي في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها.. ولو أن رجلاً عبد الله جل ثناؤه، وصدق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أن محمداً رسول الله، لم ينتفع بشيء وكان كافراً، وقيل: أي أعلينا ذكرك، فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك، وأمرناهم بالبشارة بك، ولا دين إلا ودينك يظهر عليه.. وقيل: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء، وفي الأرض عند المؤمنين، ونرفع في الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود، وكرائم الدرجات.

وقال الرازي: واعلم أنه عام في كل ما ذكروه من النبوة، وشهرته في الأرض والسماوات، وأنه يذكر معه في الشهادة والتشهد، وأنه تعالى ذكره في الكتب المتقدمة، وانتشار ذكره في الآفاق، وأنه ختمت به النبوة، وأنه يذكر في الخطب والأذان ومفاتيح الرسائل، وعند الختم، وجعل ذكره في القرآن مقروناً بذكره: (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ) (التوبة: ٦٢)، (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (النساء: ١٣)، (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (النور: ٥٤)، وينادي باسم الرسول والنبي، حين ينادي غيره بالاسم يا موسى، يا عيسى، وأيضاً جعله في القلوب بحيث يستطيبون ذكره وهو معنى قوله تعالى: (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴿٩٦﴾) (مريم).

كأنه تعالى يقول: أملأ العالم من أتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك، بل ما من فريضة من فرائض الصلاة إلا ومعها سنة فهم يمتثلون في الفريضة أمري، وفي السنة أمرك، وجعلت طاعتك طاعتي وبيعتك بيعتي (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (النساء: ٨٠)، (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) (الفتح: ١٠)، لا تأنف السلاطين من اتباعك، فالقراء يحفظون ألفاظ منشورك، والمفسرون يفسرون معاني فرقانك، والوعاظ يبلغون وعظك، بل العلماء والسلاطين يصلون إلى خدمتك، ويسلمون من وراء الباب عليك، ويمسحون وجوههم بتراب روضتك، ويرجون شفاعتك، فشرفك باق إلى يوم القيامة.

وقد علم الله تعالى ما في الإنسان من حب الذكر، فحث على ذكره سبحانه لينال ذكر الله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) (البقرة: ١٥٢)، وقال سبحانه في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» (رواه الشيخان).

وكلما كان العبد أكثر ذكراً لله تعالى، ودعوة لدينه، وإخلاصاً له، واتباعاً لرسوله؛ كان أكثر رفعة، وأرفع ذكراً، وأعلى مكاناً في الدنيا والآخرة؛ ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعلى الناس مقاماً، وأرفعهم ذكراً، لذا امتن الله عليه: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾)، ومن رفع الله تعالى ذكره فلن يخفضه شيء، ولو اجتمع الناس كلهم على خفضه، ومصداق ذلك قول النبيّ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ: «إِذَا أَحَبّ اللّه العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنّ اللّه يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السّمَاءِ: إِنّ اللّه يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السّمَاءِ، ثُمّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ» (متفق عليه).

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿٥٦﴾) (الأحزاب)، وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره، فالله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عليه، أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى له، وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له، وينادينا الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿٥٦﴾) اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه علينا، وتكميلاً لإيماننا، وتعظيماً له صلى الله عليه وسلم، ومحبة وإكراماً، وزيادة في حسناتكم، وتكفيراً من سيئاتكم (السعدي، بتصرف).■

الهامشان

(1) 'Muhammad replaces William in the top 10 boys names'
The Independent 212017/9/

(2) http://www.constructionweekonline.com/article-34078-smart-mosques-highlighted-in-deloitte-report/

بناء الثقة بالنفس لدى الأبناء

دليل عملي

تؤدي الثقة بالنفس دوراً محورياً عميق الأثر في شخصية الإنسان وتكوينه النفسي، وتؤثر على علاقاته بمن حوله وعلى حياته بشكل عام، فبدونها يغيب احترامه لذاته، ويتعثر في علاقاته مع الآخرين، وربما يعجز عن تحقيق ما يصبو إليه من نجاحات في الحياة.

ياسر محمود

حين يتمتع المرء بنظرة إيجابية نحو ذاته، دون إفراط بممارسة العجب أو الكبر أو العناد، فإن هذا ينعكس على حياته بشكل كبير، فيشعر دائماً بالارتياح والطمأنينة والسعادة، كما تساعده تلك النظرة على إحراز النجاح في مجالات الحياة العلمية والمهنية والاجتماعية، وتجعله مدركاً لقدراته ومهاراته، وتدفعه لتطويرها وتنميتها، وتساعده على التعامل مع الأزمات والمشكلات والصعاب التي تواجهه دون السقوط في براثن العجز والسلبية والهزيمة النفسية، وتمده بالطموح والأمل، وتدفعه بقوة لتحقيق أهدافه.

حين نبحث عن سبب اهتزاز نظرة المرء لذاته وفقدان ثقته بنفسه، نجد أن لمرحلة الطفولة بالغ الأثر في بناء ذلك التصور للإنسان عن ذاته، فخلالها يرسخ الآباء احترامه لذاته أو يهدمونه، بما يمارسونه من أساليب تربوية تقود الأبناء إلى أحد الطريقين.

وانطلاقاً من ذلك، وحتى يكون الآباء مصدراً لتمتع الأبناء بالثقة بالنفس نقترح في السطور التالية عدداً من الأفكار التي نرجو أن تساعدهم على ذلك.

أمان نفسي:

١- وفر لطفلك بيئة أسرية مستقرة يسودها الحب والتفاعل والتواصل الإيجابي بين جميع أفراد الأسرة وخاصة بينك وبين شريك حياتك؛ لأن ذلك يدعم تقديره لذاته.

٢- احرص على أن تعبر عن حبك له بكل الوسائل الممكنة، كإخباره بذلك بصورة مباشرة، أو بتقبيله، أو بضمه إلى صدرك، أو بالمسح على رأسه، أو بغير ذلك من وسائل التعبير، فهذا يشعره بالأمن النفسي.

خطوط حمراء:

١- لا تسخر أو تستهزئ من طفلك لأي سبب من الأسباب؛ لأن ذلك ينعكس على نظرته لنفسه ويجعله أقل تقديراً لذاته، وبالتالي ينقص منسوب ثقته بنفسه.

٢- احذر من مقارنته بأي من إخوته أو أقرانه أو غيرهم، خاصة إذا كان هذا المقارن به يتمتع بصفة إيجابية -تفوق دراسي أو تميز في موهبة- لا يتمتع بها طفلك؛ لأن هذه المقارنة تولد لديه روح الانهزام والشعور بالنقص وتزعزع ثقته بنفسه.

٣- تجنب كثرة النقد له؛ لأن ذلك يشعره بالنبذ والإهانة والتصغير، ويجعله فاقداً للثقة فيما يقوم به، بل يجعله خائفاً من القيام بأي حركة أو سكنة خوفاً من أن يُنتقد، وعند ارتكابه

لخطأ ما فليكن تركيزك على السلوك الذي تريد تعديله وليس على شخصه، كأن تقول له مثلاً: ضربك لأخيك سلوك غير لائق، بدلاً من أن تقول له: أنت ولد مشاغب، فهذه الطريقة تحافظ على تقديره لذاته وتساعدك على توجيهه بطريقة إيجابية.

٤- ابتعد عن الإيحاءات السلبية والجمل الهدامة التي قد تصفه بها، كالفشل والكسل وضعف الشخصية.. إلخ؛ لأنك تسهم بذلك في بناء نظرة سلبية لطفلك نحو ذاته، كما أنك بهذه الطريقة تقوي بقاء هذه الصفة السلبية لديه ولا تعالجها.

٥- تجنب الحماية الزائدة التي تدفعك لأن تنوب عنه في القيام بما ينبغي أن يقوم هو به؛ لأن هذا الأسلوب يقلل من اعتماده على نفسه ويضعف قدرته على تحمل المسؤولية، فينشأ ضعيف الثقة بالنفس، غير قادر على تحمل أعباء الحياة.

٦- ابتعد عن القسوة الزائدة في تربيته؛ لأنها قد تولد شخصاً ضعيفاً غير قادر على تحمل أعباء الحياة، تراه دائماً خائفاً متردداً قلقاً أن يقوم بما هو مطلوب منه خشية أن يخطأ فيعاقب.

٧- لا تستهن بما يهتم به طفلك، فبعض الأمور قد تبدو لك تافهة لا قيمة لها، بينما تمثل له أمراً كبيراً، فمثلاً خسارته لمباراة أو تأخره عن رحلة تمثل له هماً كبيراً فلا تستهن بها وتحدث معه بكل اهتمام، وحاول أن تنظر للحياة كما يراها هو.

رفع منسوب تقدير الذات:

١- احرص على اكتشاف قدرات طفلك ومهاراته وكل ما يتمتع به من جوانب القوة والتميز، ثم هيئ له الفرص المناسبة لتنميتها وتطويرها، ولا تحصر تميز طفلك في مجال واحد محدد كالدراسة مثلاً، ولكن وسّع أفقك وابحث عن تميزه في مجالات مختلفة، فربما يكون مميزاً في ممارسة الألعاب الرياضية، أو لديه قدرة على القيادة والتواصل الاجتماعي الفعّال، أو مبدع في الرسم والتلوين والنحت، أو يتمتع بقدرات لغوية كالخطابة والشعر والنثر، أو يجيد التمثيل واستخدام الجسم للتعبير عن أفكاره ومشاعره، أو لديه صوت نادٍ وأذن موسيقية.. إلخ.

٢- ارصد كل عمل متقن قام به، وكل سلوك جيد يصدر منه، وامتدحه وأثنِ عليه، فهذا يساعده على أن يكوّن مفهوماً إيجابياً نحو ذاته، كما يعزز لديه السلوك الإيجابي ويدفعه لتكراره.

٣- احرص على الإشادة بإيجابياته أمام الآخرين، وبصفة خاصة أمام من يحبهم من الأقارب والأصدقاء والمعارف.

٤- احتفِ بكل إنجاز يحققه في الدراسة أو في الهوايات والأنشطة أو غير ذلك، كأن تهديه أو تقيم احتفالاً في تجمعات من الأصدقاء والأقارب بمناسبة هذا الإنجاز وغير ذلك من أشكال الاحتفاء.

لمرحلة الطفولة بالغ الأثر في بناء تصور الإنسان عن ذاته وللآباء دور مهم في هذا

استهزاؤك بطفلك ينعكس على نظرته لنفسه ويجعله أقل تقديراً لذاته فينقص منسوب ثقته بنفسه

تواصل فعال:

١- اعتمد الحوار أسلوباً أساسياً مع طفلك، فالحوار أسلوب تربوي يتيح له فرصة الشعور الإيجابي، خاصة عندما يدرك أن الأم والأب ليسا جلادَيْن في الأسرة، وأن هناك متسعاً للحديث والتعبير عن أي شيء يحدث معه.

٢- احرص على أن تكون مستمعاً جيداً له ولأحلامه وخيالاته دون استخفاف بها أو تقليل من شأنها مهما بدت ساذجة أو مضحكة، لكن أظهر اهتمامك بما يقوله وناقشه فيها بطريقة مناسبة له.

٣- إذا اختلفت معه حول أمر ما فلا تفرض رأيك عليه، ولكن ناقشه فيه وامنحه عدداً من الخيارات المتاحة حول هذا الأمر، واترك له حرية اختيار ما يناسبه منها؛ فذلك يساعده على تحمل مسؤولية اختياراته.

٤- شجعه على اتخاذ القرارات التي تتعلق بشؤونه الخاصة بنفسه، كاختيار ملابسه وألعابه وأدواته المدرسية واشتراكه في لعبة رياضية.. إلخ، واجعل دورك فيها دور المساعد فقط، ولا تأخذ القرارات نيابة عنه، وذلك بطرح جميع الخيارات المُتاحة لديه وشرحها، وشرح الآثار المترتبة عليها، وترك الحرية له لاختيار القرار الذي يراه مناسباً، مع احترام هذا القرار الذي اتخذه، وفي حال اتخاذه قراراً غير ملائم يجب شرح سبب رفض قراره بطريقة منطقية ومُقنعة بما يتناسب مع عمره، فإن ذلك يرفع لديه ثقته بأفكاره ومهاراته باختيار ما هو مناسب له.

٥- اطلب رأيه في بعض القرارات التي تتعلق بالأسرة، كالانتقال من مكان السكن إلى مكان آخر، أو شراء شيء جديد للبيت أو غير ذلك من الأمور المتعلقة بالأسرة.

٦- احترمه عندما تطلب منه فعل شيء، كأن تقدم طلبك ببعض الكلمات المهذبة مثل: «لو سمحت.. من فضلك..»، وغير ذلك؛ فهذا يعزز مفهومه الإيجابي نحو ذاته.

٧- تعامل مع أخطائه بطريقة هادئة، واجتهد في ضبط انفعالاتك تجاهه، وتجنب إهانته أو وصفه بالفشل والفوضوية والغباء.. عندما يرتكب خطأ ما.

٨- احرص على الوفاء بوعودك له؛ فهذا ينمي ثقته فيك ويشعره بأهميته ومكانته لديك، وبالتالي ينمي ثقته بنفسه.

عوامل مساعدة:

١- شجع طفلك على بناء علاقات إيجابية مع من حوله من الجيران والأقارب والزملاء.

٢- شجعه على تحمل المسؤولية، بأن توكل له القيام ببعض المهام التي تناسب قدراته ومرحلته العمرية، كأن يرعى أخاه الصغير ويلاعبه بحب، أو أن يعتني برعاية نبتة في المنزل، مع الثناء على بعض الإجادة منه، ولفت نظره بلطف إلى بعض الملحوظات المصححة للسلوك، واحذر أن تكلفه بما لا يطيق أو بأقل مما يمكنه القيام به، فتلك المسؤوليات تمنحه ثقة عالية في نفسه.

٣- علمه أن كل إنسان ينجح في أمور، وربما يخفق في أخرى، واضرب له أمثلة على ذلك من خلال ما يحبه من أنشطة وهوايات، كأن تقول له: إن فريق كذا فاز في مباراة كذا وخسر في مباراة كذا، فهذا يجعله أقدر على مواجهة ما يقابله من إخفاقات دون أن تهتز ثقته بنفسه.■

محطات إيمانية في طريق التربية

مكافأة نهاية الخدمة!(٢-٢)

كان شاباً مليئاً بالحيوية، مفعماً بالنشاط والحركة، محافظاً على الصلاة في المسجد، كريم الأخلاق، عطوفاً طيب العشرة، من عائلة مشهود لها بالصلاح والطيبة، كما كان وسيماً ومثقفاً ويحمل شهادة متوسطة، لكنه كان يعمل عملاً حراً في التجارة يدرّ عليه ربحاً لا بأس به؛ لذا فقد كان أمنية كثير من فتيات العائلة، وبنات الجيران اللاتي يرينه جيئة وذهاباً مِن وإلى بيته المجاور لهن، تمنت كل واحدة منهن أن تحظى به زوجاً وشريكاً لها في الحياة، وكان الآباء يلمّحون أمامه وأحياناً يصرّحون بأنهم يتمنون لبناتهم زوجاً مثله.

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة. ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

أما هي فقد كانت فتاة تصغره ببعض سنوات، من أسرة متوسطة الحال كثيرة العيال، وكانت هي أكبر البنات فيها، لم تكن أكملت تعليمها بعد، تعرف عليها عن طريق بعض الأصدقاء الذين رشحوها له ليتزوجها، رآها ورأته ووجد في نفسه راحة وقبولاً ليرتبط بها بعد أن استخار الله تعالى واستشار أهله الذين رحبوا بها وباركوا هذا الزواج، وتوافد عليهم الأحباب مهنئين داعين بدوام السعد والسعادة، وأن تكون زوجته في الدنيا والآخرة.

مرت عليهما أيام طيبة وقد أشبع زوجته حباً وعطفاً ورحمة ومودة، رفرفت فيها أجنحة السعادة عليهما في عشهما الجديد وقد رزقا فيه بالذرية الطيبة التي زينت دنياهما، كان زوجاً متفاهماً متعاوناً معها خلال هذه الفترة، فقد ساعدها وأنفق عليها من ماله ووقته لتتم تعليمها، بل كان أحياناً رغم تعبه في عمله وانشغاله يجلس بالأطفال ويعمل على راحتها وراحتهم من أجل اختباراتها لتنتهي من دراستها، أما إذا ما أصابتها أي وعكة صحية لا يهدأ له حال ولا يغمض له جفن قلقاً عليها، إذ يعطيها الدواء بنفسه ويسهر على رعايتها وعلاجها حتى تشفى، لم يبخل بشيء عليها يقدر أن يقدمه لإسعادها، بل وإسعاد أهلها، فهو بار بهم وصول لهم منفق من وقته وجهده وماله دون منّ أو أذى.

ومرت الأيام بهما فاتسعت تجارته قليلاً، وكثرت أشغاله، وزادت أرباحه، فما كان منه إلا أن كتب بيته باسمها لتكون مطمئنة البال راضية النفس، أما هي فقد أتمت تعليمها الجامعي والتحقت بوظيفة مناسبة مرموقة وافقها هو على العمل بها ليرضيها، كان يلبي لها كل ما تطلبه لنفسها أو لأهلها دون أن يأخذ من راتبها شيئاً، مظهراً لها أنه سعيد لسعادتها فرح لفرحها.

أنا.. وأنتَ

وسارت بهما سفينة الحياة مع أحداثها السريعة المتغيرة، وقد اعتادت الخروج لعملها كل صباح، وأعطت عملها كل وقتها وجهدها حتى نسيت أنها زوجة وأم! وإذا ما تكلم معها زوجها اتهمته بالجهل وأنه لا يفهم ما تفهم، ولا يعلم ما تعلم، فهي متعلمة، وهو رجل سوق وبيع وشراء! وبدلاً من أن تعترف بفضله عليها في هذا العلم، إذ أعطى وأنفق، وتعب وسهر، وشجّع وآزر، وتغاضى عن بعض التقصير في حقه، لتكون هي هي، لكنها كان كل يوم يمر عليهما يوسوس لها شياطين الإنس والجن أنها غير سعيدة معه، وأنه ليس كفئاً لها، إنها تستحيي من ذكره أمام زميلاتها في العمل لا سيما بعد أن ترقت في سُلم الوظيفة، ولو عاد بها الزمن إلى الوراء ما تزوجته! كان هذا التفكير يسيطر عليها ويجعلها حادة الطباع معه سليطة اللسان عليه، تقلل من شأنه، ولا تشكره أو تذكر فضله.

ومع مرور الوقت ظهرت علامات النفور عليها صراحة، وكثر انتقادها له وجحودها لأفضاله، ولسان أعمالها يقول له: أنا خير منك، «ما رأيت منك خيراً قط».

حاول أن يتودد إليها ويتجمل بالصبر لها فيفاجأ منها بالاستكبار، كان يذكّرها بالأيام الجميلة التي قضتها معه ويطلب منها أن يجددا حبهما ويعيشا معاً بشيء من التوقير والاحترام والمودة والرحمة، وأن يكمل كل منهما نقص الآخر، صحيح أنه لم يكمل تعليمه الجامعي لكنه ليس بجاهل، بل متعلم، ومثقف، وقد تعلم في مدرسة الحياة ما لم تتعلمه هي في الجامعة! لكنها كانت تفتعل المشكلات معه، بل وتضحك منه وتسخر.

وفي يوم حزين من أيام عمره، رجع من عمله مبكراً فلم يجدها كما لم يجد أولاده، حاول أن يتواصل معها فلم يفلح، انتظرها طويلاً فقد ترجع، وبينما هو في غمرة القلق إذ سمع طرقاً على الباب فقام ملهوفاً علها تكون هي، ففتح ليتسلم خطاب دعوى قضائية تطالبه فيها زوجته بالطلاق وأن يترك بيته لأنه مسجل باسمها!

> كما أمر القرآن الأزواج بحسن عشرة النساء أمر الزوجات بطاعة الأزواج وحسن التبعل لهم

إن حال هذه الزوجة الناكرة للجميل قد يحصل ويتكرر في صور أخرى مختلفة، وقد حذر النبي ﷺ الزوجات من ذلك فقال: «أُريتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ، يَكْفُرن. قيل: أيَكْفُرن باللهِ؟ قال: يَكْفُرن العشيرَ، ويَكْفُرنَ الإحسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدهرَ، ثم رأتْ منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيراً قطُّ» (رواه البخاري).

إن عقد الزواج ميثاق غليظ، لكن البعض يظنه كالعباءة يلبسها متى شاء ويخلعها متى أراد! وإن الخلاف بين أي زوجين وارد، لكن الشرع قد أوجد لهما العلاج والحل، وما الطلاق إلا الحل الأخير عند استحالة العشرة دفعاً للضرر المؤكد.

فالصالحات قانتات

ألا وإن المجتمعات لا ولن ترتقي وتصلح إلا إذا صلحت الأسرة، وقد عالج الله ذلك في القرآن الكريم، فكما أمر الأزواج بحسن عشرة النساء والصبر على صحبتهن، في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ (النساء)، فإنه عز وجل أمر الزوجات بطاعة الأزواج، وحسن التبعل لهم والاعتراف بفضلهم، والصبر عليهم، فقال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤)، قال الطبري في تفسير الآية: «المستقيمات الدين، العاملات بالخير»، «قانتات» قال قتادة يعني: «مطيعات لله ولأزواجهن»، وقال ابن عباس وغير واحد: يعني «مطيعات لأزواجهن» (ابن كثير).

كما أرسى النبي ﷺ قواعد استقرار وصلاح الأسرة، بالترغيب والترهيب، فقال للزوجات: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» (رواه أحمد، وصححه الألباني).

وفي الحديث أن امرأة أتت النبي ﷺ فسألها: «أذات زوج أنت؟»، قالت: نعم، قال: «كيف أنت له؟»، قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه، قال: «فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك أو نارك» (رواه أحمد)، ومعنى: «ما آلوه» أي: ما أقصّر في خدمته وإرضائه، قال المناوي: «انظري» أيتها المرأة التي هي ذات بعل، «أين أنت منه» أي في أي منزلة أنت منه، أقريبة من مودته مسعفة له عند شدته ملبية لدعوته، أم متباعدة من مرامه كافرة لعشرته وإنعامه، «فإنما هو» أي الزوج، «جنتك ونارك» أي هو سبب لدخولك الجنة برضاه عنك، وسبب لدخولك النار بسخطه عليك، فأحسني عشرته ولا تخالفي أمره فيما ليس بمعصية، وأخذ الذهبي من هذا الحديث ونحوه أن النشوز كبيرة. (فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي)، وهنا لا بد لكل زوجة من وقفة جادة وصادقة للنظر في حالها كزوجة، وهل تدخل الجنة إلا بطاعتها للزوج ورضاه عنها.

هل يكون الزوج جنة زوجته أم نارها؟

- إذا كانت الزوجة ناشزاً مترفعة عليه عاصية لأمره ناكرة لفضله عاقة لصحبته.
- إذا جعلت عملها خارج البيت أهم من زوجها وبيتها وأولادها.
- إذا هجرته ومنعته نفسها في الفراش دون عذر شرعي، ولم تعنه على غض بصره، وتحصين فرجه.
- إذا كانت تخرج من بيته دون إذنه، وتنفق ماله دون علمه، وتهمل ولده وبيته، ولا توقر والديه.
- إذا لم تعنه على بر أهله وصلة أرحامه، ودعته إلى العقوق والمقاطعة الأسرية ولسان حالها يقول له: إما أنا وإما هم!
- إذا رجع من عمله فلم يجدها، بل ووجد بيته خاوياً من أثاثه وفرشه، ورسالة لطلب الطلاق!
- إذا كانت تطلب الطلاق متى اختلفا وتهدد به كل وقت.
- إذا أرادت أن تتخلى عنه بالطلاق أو الخلع في وقت يحتاج وجودها معه كمرض وشيبة وضعف.
- إذا كانت تتعسف في حقها فتحضر له الشرطة وتودعه السجن باتهامه زوراً «باغتصابها!»؛ طمعاً في بيت أو مال أو لتتخلص منه! (وهذا يحصل في بعض الدول الأوروبية).
- إذا كانت تحرمه من رؤية أولاده إذا ما اختلفا أو حصل الانفصال بينهما.
- إذا كانت أنانية لا تفكر إلا في نفسها ولا تنظر لمصلحة بيتها وولدها.
- هل يكون جنتها وهي تنظر إليه دائماً نظرة النقص، تقارنه بفلان وفلان، وكأنها تريده ذلك الشاب الذي تزوجته منذ زمن، لا يكبر ولا يشيب؟!
- وهل يكون جنتها وهي لا تفتأ تتغنى بكرهه وتطلب مفارقته وبُعده؟ وما علمت أن البيت إن لم يُبْنَ بالحب فهو يبنى بالرحمة.

إن في حياتنا للأسف توجد هذه النماذج التي تدعونا للتوقف والنظر والتصحيح، واستدراك الأخطاء للعودة بالأسرة إلى صلاحها، وجعل الزواج والزوج مرتقى للجنة.

وقد قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنّة؟»، قُلنا: بلى يا رسول الله! قال: «كُلُّ ودود وَلود، إذا غَضبتْ، أو أُسيءَ إليها، أو غضبَ زوجُها قالتْ: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض حتّى ترضى» (صححه الألباني، صحيح الترغيب)، ومعنى «لا أكتحل بغمض» أي: لا أذوق نوماً.■

عقد الزواج ميثاق غليظ لكن البعض يظنه كالعباءة يلبسها ويخلعها متى أراد

في حياتنا نماذج تدعونا للتوقف والنظر واستدراك الأخطاء للعودة بالأسرة إلى صلاحها

«الإسلاموفوبيا».. مشكلة كونية

تفهم كراهية الإسلام (الإسلاموفوبيا) كحالة من الخوف من الإسلام والمسلمين يؤدي لسلوك عدائي ضدهم يتضمن الإساءة اللفظية والجسدية للمسلمين وللقرآن وللشخصيات والرموز الإسلامية المقدسة.

وقد عرفت مؤسسة «رونيميد ترست»، وهي مؤسسة فكرية بريطانية، كراهية الإسلام كحالة من العداء للإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية بشكل فريد من نوعه يتعذر فهمه إلا من خلال هذا المصطلح والمفهوم.

السفير محمد زامير(*)
ترجمة - جمال خطاب:

يعتبر المحللون أن هذه العقلية تصاعدت وتطورت بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ويشير البعض إلى أن كراهية الإسلام لم تعد تعبيراً عفوياً عن العواطف، ولكنها تحولت إلى أيديولوجية وجدت طريقها إلى الأجندات السياسية للجماعات اليمينية والشعبوية المتطرفة التي تسعى إلى تحقيق مكاسب سياسية من خلال الترويج للكراهية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين.

وقد تزايدت جرائم الكراهية التي ترتكب ضد المسلمين، أو حتى أولئك الذين «يبدون مثل المسلمين» (استناداً إلى تعبيرهم الجسدي أو الثقافي) قد تزايد بشدة.

ويبدو أن هذه الممارسات تتخذ الآن منعطفاً أسوأ من خلال إلى الاعتراف بمختلف أشكال العنصرية على النحو التالي:

١- المواقف والسلوكيات التمييزية للفرد (العنصرية الفردية).

٢- سياسات وممارسات المنظمات التي تعمل بشكل مباشر أو غير مباشر للحفاظ على مزايا بعض الشعوب وبعض «الأعراق الاجتماعية» (العنصرية المؤسسية).

٣- نظام القيم، الذي هو جزء لا يتجزأ من المجتمع ويدعم ويسمح بإجراءات تمييزية تقوم على مفاهيم الاختلاف العرقي والتفوق الثقافي والدونية (العنصرية الثقافية).

والأدلة كثيرة على أن كراهية الإسلام قد اكتسبت مظاهر متعددة الأبعاد، في المجالين الاجتماعي والسياسي.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مسلمي العالم البالغ عددهم ١,٦ مليار نسمة يتمتعون بكامل مظاهر الإنسانية، ولا توجد طريقة لتمييزهم كمسلمين عن غيرهم، ومع ذلك، فإن العرق يظهر في جوهر «الإسلاموفوبيا»، ففي أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وفي داخل أمريكا وخارجها، تم الإبلاغ عن هجمات عنيفة متكررة ضد غير المسلمين، مثل السيخ الأمريكيين والهنود ومواطني جنوب آسيا وآخرين، وكان كل من تأذى أو قُتل في هذه الهجمات عرضة لـ«الإسلاموفوبيا» فقط لأن مظهره كان متوافقاً مع الوصف العنصري لما كان من المفترض أن يبدو عليه المسلم.

غير أن بعض علماء الاجتماع أشاروا إلى أن كراهية الإسلام لا تنتمي إلى نطاق الانتقاد «العقلاني» للإسلام أو المسلمين بأي شكل من الأشكال، ووفقاً لهذا، يجب أن يتم تفسيره على أنه تمييز ضد الأشخاص الذين يبدون مختلفين، ولقد تم بناء المسلم النمطي باعتباره شخصية مشؤومة، ملتحياً، ذا بشرة داكنة، يرتدي عمامة، يسترشد بممارسات دينية قديمة.

وفي أجزاء كثيرة من العالم الغربي، أدت الخطابات النمطية المسيئة والمشوهة ضد الإسلام والمسلمين إلى إنتاج عقلية جماعية يصعب استئصالها، ويستخدم هذا النهج بشكل خاص لأسباب سياسية كوسيلة لاكتساب شعبية بالتخويف من المسلمين بل ووعد منتخبيهم، إذا ما تم انتخابهم، بسن قوانين صارمة ضدهم.

تنميط عرقي

واستناداً إلى التنميط العرقي للمسلمين، أصبحت ظاهرة «الإسلاموفوبيا» شكلاً من أشكال العنصرية المختلطة بالتعصب الثقافي على الرغم من أن المجتمع المدني يبذل جهوداً لمكافحة العنصرية والتمييز

العنصري وكره الأجانب من خلال الأخذ بتدابير قانونية دولية على النحو المبين في اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على التمييز العنصري (CERD)، والاتفاق على إعلان دربان.

ويمكن الإشارة هنا إلى أن التشريعات المناهضة للتمييز العنصري لا تكفي للتصدي للتمييز ضد الإسلام، وفي معاهدة أمستردام لعام ١٩٩٧م، أكد الاتحاد الأوروبي مبدأ عدم التمييز على أساس الدين في المادة (١٣)، كما وضعت الأمم المتحدة عدداً من الصكوك، من بينها المعاهدات والاتفاقيات والبروتوكولات المتعلقة بالتمييز الديني، فالعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية (١٩٦٦م)، على سبيل المثال، يحظر التمييز الديني على نحو أكثر تحديداً.

وقد أكد المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان الذي انعقد عام ١٩٩٣م في فيينا أهمية اتخاذ جميع التدابير المناسبة للتصدي للتعصب والعنف المرتبط به على أساس الدين أو المعتقد، ودعا جميع الدول إلى وضع أحكام إعلان عام ١٩٨١م بشأن القضاء على جميع أشكال التمييز موضع التطبيق، والتعصب والتمييز على أساس الدين أو المعتقد، وشدد مؤتمر فيينا لعام ١٩٩٣م أيضاً على ضرورة القضاء السريع والشامل على جميع أشكال العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، بوصفها مهمة ذات أولوية للمجتمع الدولي، كما اعترف المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية عام ٢٠٠١م بوضوح بزيادة معاداة السامية وكراهية الإسلام في مختلف أنحاء العالم، وحث جميع الدول على اتخاذ تدابير فعالة لمنع ظهور حركات

كراهية الإسلام لم تعد عفوية بل تحولت إلى أيديولوجية في الأجندات السياسية للجماعات اليمينية المتطرفة

علامات تحديد هوية المجتمعات انتقلت من العرق واللون والأصل القومي لتشمل الدين

تقوم على أساس العنصرية والأفكار التمييزية فيما يتعلق بهذه المجتمعات.

وفي الوقت الذي أصبحت هذه التحسينات تدريجياً جزءاً من سياسات الدول الأعضاء في الأمم المتحدة والتشريعات المناهضة للتمييز، حدثت طفرة في «الإسلاموفوبيا»، كشكل من أشكال التمييز العنصري، استمرت في تهديد فعالية هذه الإستراتيجيات في معالجة المظاهر السلبية للعنصرية، وبالإضافة إلى ذلك، ما زلنا نشهد عودة العنف العنصري الموجه ضد المسلمين في الغالب، وهناك أيضاً زيادة عامة في مظاهر التعصب والكراهية العنصرية والدينية تنعكس أساساً من خلال مظاهر الخوف من الإسلام ويتضح ذلك بقوة في ولاية راخين بميانمار في حالة المسلمين الروهنجيا؛ حيث توجد مقاومة لعملية تعدد الثقافات في تلك المجتمعات.

نيران التعصب

هذا البعد الاجتماعي الثقافي المتدهور والاتجاه الناشئ لمنصات اليمين المتطرف وكراهية الأجانب داخل الأحزاب الديمقراطية يزيد من تفاقم الوضع، وهذا أيضاً يؤيد التفسير العنصري أو العرقي للهجرة وللمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وهذا هو الوضع الذي دفع المحللين إلى التأكيد على الحاجة الإبداعية لإستراتيجية الحقوق المدنية التي يمكن أن تتعامل بفعالية مع هذه الحقائق المتطورة، وقد لفتت بعض الدول الانتباه إلى الإصلاحات المسبقة، على المستويين القانوني والسياسي، من أجل حماية الأقليات والمجتمعات المتأثرة بجميع أشكال العنصرية المعاصرة، بما في ذلك «الإسلاموفوبيا».

وفي هذا الصدد، تُبذل جهود خاصة لإقامة حوار بين أصحاب المصلحة المتعددين من أجل تحليل «الإسلاموفوبيا» بشكل موضوعي، ومناقشة الأسئلة الحاسمة حول التعقيدات والمعضلات ومفارقات الهوية العنصرية وكراهية الإسلام، والآثار المضطربة لظاهرة «الإسلاموفوبيا» والعنصرية المستشرية في المجتمعات الحديثة، ويسعى هذا النهج إلى تطبيق الأدوات التي تم تطويرها لفهم التمييز العنصري لتحليل «الإسلاموفوبيا».

وفي هذا الإطار، تُبذل جهود لتتبع جذور وممارسات السلوك والسياسات التمييزية ضد المجتمعات المسلمة، لفهم السياق الذي تطورت فيه العنصرية ضد الإسلام، والدور الذي تؤديه اليوم في تقويض حقوق الإنسان داخل المجتمعات المختلفة في العديد من المجالات، ويتم ذلك لتحديد أفضل الممارسات المطلوبة لمواجهة مختلف أشكال التمييز العنصري والديني.

هذه التدابير تحتاج إلى تنسيق في جميع أنحاء العالم، وسيساعدنا ذلك على رؤية كيف يمكن التغلب على التحديات والعواقب السلبية المترتبة على الطائفية وتعزيز المعادلات الإيجابية من أجل التوجيه والتطبيق العالميين على مستويات مختلفة، سواء من جانب الدولة أو من جانب الجهات الفاعلة من غير الدول من خلال التدابير القانونية وغير القانونية.■

(*) سفير ووزير بنجالي سابق - محلل متخصص في الشؤون الخارجية والحق في المعلومات والحكم الرشيد.

الغِيبة.. وحركة الحياة

بقلم - د. عامر البو سلامة:
كاتب سوري

الغيبة كبيرة عظيمة من كبائر الإثم والعدوان، وسيئة من سيئات الضلال والفساد، هي حالة من حالات الضياع، وصورة من صور الشرود، وطريق من طرق التيه، وباب من أبواب الارتكاس في حمأة الجاهلية، خانقة الفضيلة عند الناس، وتصنع الدخن والإلباس، ومدخل من مداخل التمزق، وعالم من عوالم الانحدار، وآفة تأكل الأخضر واليابس، لا تبقي ولا تذر، محبطة لأعمال البشر، قال الحسن البصري: «والله لَلغيبة أسرع في دين الرجل من الأَكَلة في الجسد».

إنها مكسرة لأسوار الفضيلة، ومدمرة لحصون الحياء، ومزلق من مزالق الطغيان، ونافذة من نوافذ العدوان، ومسرب من مسارب البغي، ومرتسم من مرتسمات الشيطان، يعكس من خلالها إبليس غواية العدوان، فيحقد الإنسان على أخيه الإنسان، ويمد له حبال الغي، حتى يوقعه في شرك الرذيلة.

مرّ عمرو بن العاص رضي الله عنه على بغل ميت، فقال لأصحابه: «لأن يأكلَ أحدكم من هذا البغل حتى يملأ بطنَه خيرٌ له من أن يأكل من لحم أخيه المسلم» (صحيح الترغيب والترهيب).

إنها الغيبة! مدمرة المجتمعات، وصانعة المبغضات، وجري وراء الشهوات، ومحركة للعداوات، ومبددة للطاقات، ومجمع من مجامع الغفلات، وسبيل من سبل الهلكات، تهوي بالمرء إلى أسفل الدركات، وأحط العاقبات، وأخس الدركات، وهي في مجال السير إلى الصلاح من العقبات، حيث توصلت إلى الطامات الكبيرات.

إنها الغيبة! عدو مبين، وشر مستطير، ونكد فظيع، وبعد عن مناهج الربانيين، وأحوال الصالحين، وسير المتقين، أصحابها عناكب الفتنة التي تنسج خيوطها في وسط المجتمعات، ما شاعت في أمة إلا جعلتها في الحضيض، ولا أدمن عليها امرؤ إلا تحول إلى شيطان رجيم، ولا انتشرت في جماعة أو حزب إلا حول نهاره إلى ليل، وسعادته إلى شقاوة، وحلاوته إلى مرارة.

أصحابها ظلاميون بكل دلالة المعنى؛ ظلمة قلب، ووجه وضمير، ظلمة عين أو لسان، أو جارحة، ظلمة سلوك، هم رسل الشر، وعناوين الفساد، ورموز الخراب، ولصوص الطاقة، حيث حلوا تفوح روائح المكر، وطعوم الكيد، وألوان الفتن، وصنوف الفساد، إنهم الخطر الكبير، والحذر منهم جدير.

وقد تشدد الإسلام في تحريم الغيبة، فقال الله تعالى: (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾) (الحجرات)، يقول الأستاذ سيد قطب في ظلاله: «لا يغتب بعضكم بعضاً، ثم يعرض مشهداً تتأذى له أشد النفوس كثافة وأقل الأرواح حساسية، مشهد الأخ يأكل لحم أخيه ميتاً! ثم يبادر فيعلن عنهم أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز، وأنهم إذن كرهوا الاغتياب!».

ثم يعقب على كل ما نهاهم عنه في الآية من ظن وتجسس وغيبة باستجاشة شعور التقوى، والتلويح لمن اقترف من هذا شيئاً أن يبادر بالتوبة تطلعاً للرحمة: (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾).

ويسري هذا النص في حياة الجماعة المسلمة فيتحول إلى سياج حول كرامة الناس، وإلى أدب عميق في النفوس والقلوب، ويتشدد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متمشياً مع الأسلوب القرآني العجيب في إثارة الاشمئزاز والفزع من شبح الغيبة البغيض.

والناس مع الأسف يستهينون بهذا المرض الفتاك، حتى أصبحت الغيبة فاكهة المجالس، وسلوان الغافلين، وتسلية المبطلين.

وكما أن الغيبة حرام، فكذا سماعها والرضا بها، ومشاركة أصحابها ولو بالسكوت، ونص العلماء على تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار على قائلها، فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه، كما نقل ذلك الإمام النووي وغيره من الأعلام، قال الله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) (القصص: ٥٥)، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾) (المؤمنون)، وقال تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾) (الأنعام).

الغيبة مصيبة على المرء وعلى المجتمع، وهي من الآفات الكبرى التي ابتلي بها كثير من أبناء جلدتنا، وهذه الأدلة التي سقناها جزء من أدلة النواهي عن هذا الخلق السيئ، ولو أردنا استقصاء ما ورد من أدلة وأقوال وتفصيلات وحديث شامل عنها، لكانت مجلداً، فاحذر، وانتبه، وتذكر، واعقل، واتق الله!■

النص القرآني المحرم للغيبة سياج يحمي كرامة الناس وأدب عميق في النفوس

الناس يستهينون بهذا المرض الفتاك حتى أصبحت الغيبة فاكهة المجالس وسلوان الغافلين

بقلم: د. يوسف السند

مواقف وعبر تربوية من «طبقات الشافعية»

ابن السبكي.. صاحب طبقات الشافعية

الحمد لله جعل العلماء ورثة الأنبياء، وجعلهم درجات وطبقات؛ فنبغوا في المؤلفات والمصنفات والإنتاج العلمي والمنجزات، وكانت لديهم المسائل والمذاهب والآراء والفتاوى، فكان منهم المحدثون والحفاظ والمفسرون والوعاظ والمؤرخون والأدباء واللغويون والمتكلمون والفلاسفة المفكرون، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم القائل: «العلماءُ ورثةُ الأنبياء، إنّ الأنبياءَ لم يُورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلمَ»(أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجة (٢٢٣) مطولاً).

ومن هؤلاء العلماء الأفذاذ المبرزين والأعيان المتميزين صاحب كتاب «طبقات الشافعية»، وهو الكتاب الذي أثنى عليه العلماء من المتقدمين والمتأخرين؛ بما حواه من الفوائد والعوائد والكنوز والفرائد.

أما صاحبه فهو العلامة تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي (٧٢٧ - ٧٧١هـ)، ووالده الإمام العلامة تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦هـ).

وقد أوضح حياةَ ابن السبكي، يرحمه الله، بأسلوب ماتع شائق العلامةُ د. محمود محمد الطناحي في مقالاته «صفحات في التراث والتراجم واللغة والأدب»:

«وقد نبغ صاحبنا تاج الدين في منتصف القرن الثامن الهجري -عصر الموسوعات- هذا العصر الذي كان بمثابة الصحوة الفارهة بعد النكسة التي أصابت العالم الإسلامي، التي كادت تأتي على تراثه الضخم العريض، إبان الغزو التتري الكاسح.

وقد وُلد تاج الدين بالقاهرة، ونسب إلى قرية سبك من أعمال المنوفية.. ولم ينصرف الفتى في صباه إلى اللهو واللعب، كما يفعل لداته وأترابه، فقد هدهد سمعه في سن تفتحه وفود العلماء، تفد إلى بيت أبيه، تنشد العلم وتطلب الفتيا.

فأقبل على ألوان المعرفة يحصلها على مهل واتئاد، حتى اكتملت له أدوات العالم المجتهد.. وكان مجلى هذه الثقافة الواسعة العريضة في نهاية الشوط موسوعة علمية ضخمة، لمت أطراف الثقافة العربية، وجلتها على نحو معجب خلاب، على امتداد سبعة قرون في كتابه الخالد «طبقات الشافعية».

لقد انفسح هذا الكتاب العظيم من خلال ترجمته لرجال المذهب الشافعي لكثير من المباحث الفقهية والفتاوى الشرعية، والمقالات، والمناظرات، والنوادر والملح، كما حفل بالضوابط اللغوية ومسائل علم الكلام والأصول.

كما كان مصدراً أدبيّاً لكثير من الكتب التي عالجت شؤون الحب، وكان أيضاً مرجعاً أصيلاً في جمع أشعار الشعراء.

ويرسم ابن السبكي المعلم للمدرس منهجاً تربوياً راشداً حين يقول:

وحق عليه أن يحسن إلقاء الدرس وتفهيمه للحاضرين، ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق، وإن كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات، بل يدخل بهم في المشكلات» (الطناحي - مقالات).

عبر تربوية:

- تأثر التوجه التربوي للأمة بما تتعرض له من أخطار وأزمات.
- الدور الإيجابي للعلماء في النهضة والازدهار.
- اهتمام العلماء بالتعليم والتدريس لأبناء المسلمين.
- تأثر الأبناء بمن يفد على آبائهم من علماء وغيرهم.
- الكنوز والجواهر الموجودة في كتب التراث لها أهمية كبرى حال استخراجها وصياغتها بأسلوب يتناسب مع جيل هذا العصر.

والحمد لله رب العالمين.■

الشيخ الغزالي.. وتحويل الليمون المر إلى شراب حلو! (١ - ٢)

أ.د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

يرى الشيخ محمد الغزالي (١٩١٧ – ١٩٩٦م) أن قِصَر باع المسلمين في علوم الحياة أبشع جريمة يمكن أن ترتكب ضد الإسلام، وهذا القصور إن أمسوا به في هذه الدنيا متخلفين؛ فهم عند الله ورسوله أشد تخلفاً، وأسوأ عقبى! إن أنفسنا وبلادنا وحياتنا وآخرتنا في ظمأ هائل إلى مزيد من المعرفة والضياء.. ومن ثم، فإن الشيخ محمد الغزالي -يرحمه الله- يهيب بالعلماء المنصفين أن يجيلوا أبصارهم فيما بلغته الآداب والفلسفات من نتائج، وأن يضموا إلى هذه المعرفة دراسة الإسلام نفسه، وهم بأيسر مقارنة منتهون إلى ضرورة نفع العالم بهداياته، ومنع العوائق التي تصد الناس عنه.

منهج الدراسات المقارنة بين المعتقدات والنظم والقيم المغايرة والإسلام ومعطياته وقيمه يقود الناس إلى الصراط المستقيم، ويفتح الأبواب الموصدة، والقلوب المغلقة، ويوصل الإسلام أو كلمة الحق إلى أصحاب العقول السليمة والأفئدة الحية والفطرة الطبيعية.

كأن الشيخ يعيب ضمناً أولئك العلماء أو الدعاة الذي يغلقون على أنفسهم باب الوعي والمعرفة والثقافة؛ ويكتفون بالمقررات المفروضة واللغة الموروثة، ويتجاهلون الواقع وما يجري فيه، ويحدث على أرضه من أفكار ومستجدات.

ولعل سر تفوق الغزالي على كثير من نظرائه خطواته الطليقة نحو المعرفة الإنسانية المعاصرة، فيفيد منها، ويتعرف على أبعادها، ويواجه ما يستجد من تصورات وآراء تبدو براقة ومدهشة، ولكنها من الداخل خاوية وفارغة، ويتصدى لها بالمنطق ويتسلح لمواجهتها بالثقافة، فيجهز على الأفكار الزائفة بالدليل والبرهان، ويفتح أمام الباحثين عن الحقيقة والأمل أبواباً واسعة.

لقد كان حصاد اشتباك الغزالي مع الثقافة العامة والأجنبية مجموعة نفيسة من الكتب، أظهر من خلالها مبادئ الإسلام الراقية وقيمه العظيمة، وأبان عن فساد كثير من النظريات والأفكار التي تتصادم مع الوحي وتعاليم الدين الحنيف، والفطرة الإنسانية السليمة.

خذ مثلاً هذه الكتب: «الإسلام والأوضاع الاقتصادية»، «الإسلام والمناهج الاشتراكية»، «حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة»، «الإسلام المفترى عليه بين

الشيوعيين والرأسماليين»، «خلق المسلم»، «من هنا نعلم»، «ظلام من الغرب»، «الإسلام والطاقات المعطلة»، «الإسلام والاستبداد السياسي».

إنها نماذج لاشتباك الشيخ مع ما يجري خارج القضايا التقليدية المألوفة مع أهمية هذه القضايا وضرورتها في التأسيس الفكري والعقلي والثقافي، ولكنها لا تتضح ولا تتبلور إلا في ضوء الواقع وأحداثه وما يطرح فيه من آراء وتصورات ونظريات، ولا تتجلى إلا من خلال فهم مقاصد التشريعات والقواعد؛ فالاقتصاد والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية وقوانين الأمم المتحدة ومواثيقها وثقافة الغرب والاستبداد السياسي، وغير ذلك من أفكار وتصورات تواجه الفكرة الإسلامية، تحتاج إلى وعي فكري ومحصول ثقافي وذكاء علمي لإبراز ما يتضمنه الإسلام من محتوى يتجاوز ما يعرض على المسلمين من بدائل قاصرة، وتصورات غير ناضجة.

ونستطيع أن نجد صدى ذلك كله في خطبه المنبرية التي كان يلقيها في مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة، الذي حوله من مكان شبه مهجور مليء بالنفايات بسبب الإهمال، وعدوان الجيران عليه، إلى ملتقى حيّ يغص بآلاف من المصلين كل أسبوع جاؤوا من أنحاء القاهرة المختلفة ليستمعوا إلى خطبته المتميزة.

لحسن الحظ أن هذه الخطب جمعت في عدة أجزاء ضخمة، ونشرتها «دار الاعتصام» في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي، وفيها تجد روح الثقافة العالية والوعي بما يجري ويدور على ساحة الفكر العالمي، وما يطرح في مواجهة الإسلام من أفكار ورؤى وتصورات في شتى المجالات، فيعالجها الغزالي بروح إيمانية متوثبة للنهضة والتقدم، تحمل روح العلم والقراءة الواعية، والمهمة الرسالية التي تتجاوز الوظيفة الرسمية، أو الرغبة النرجسية التي تعتمد على عناصر لا تخدم الدين ولا الدعوة ويذهب أثرها عقب الانتهاء منها مباشرة!

إن هذه الخطب في مجملها دروس تربوية في كيفية تزكية النفس وتحريرها من الشهوات والرغبات الآثمة، وتوجيهها نحو البناء الذاتي، والعمل الإيجابي المثمر، ومواجهة العقبات والصعوبات، والصبر بمعناه المقاوم في المحن والشدائد، وتحويل المحن

لعل سر تفوقه على كثير من نظرائه خطواته الطليقة نحو المعرفة الإنسانية المعاصرة

اشتبك مع الثقافة الأجنبية فأبان عن فساد كثير من النظريات التي تتصادم مع الدين والفطرة

اعتمد في تأليف «جدد حياتك» على نصوص وأحكام الإسلام التي قابل بها كتابات «ديل كارنيجي»

إلى منح تزيد صاحبها إيماناً بربه واقتراباً منه وطاعة له، وهو ما يصنع في النهاية مجتمعاً طيباً متماسكاً مجاهداً في سبيل الحياة المطمئنة الآمنة.

هناك جوانب مهملة أو تكاد من جانب علماء الإسلام ودعاته، وخاصة ما يتعلق بالجانب الإنساني الشخصي أو الذاتي، المرتبط بالناحية النفسية والسلوكية والعاطفية، ويكاد بعضهم يتحرج من الاقتراب منه، مع أن أصحاب الثقافات الأخرى يلحون عليه ويبذلون جهودهم البشرية أملاً في الوصول إلى جلاء له، ومحاولات لتنميته ومعالجة سلبياته، فيأتي الشيخ الغزالي محققاً سبق الريادة، ويسعى بوعيه وفكره وذكائه لطرح ما يملكه الإسلام من تصورات مشابهة أو تراث أفضل، وحلول أجمل، وبمنهج المقارنة الذي دعا إليه، نفهم أن الإسلام لديه ما يفخر به، وما يعرض هنا وهناك.

سنتوقف عند مثال واحد من أمثلة عديدة قدمها الشيخ الغزالي في كتابه «جدد حياتك» (ط١، دار الدعوة، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، وفي هذا الكتاب مجال حي لكيفية بناء المسلم ذاتياً وشخصياً ونفسياً وعملياً، وهو كتاب نسج على منواله بعدئذ عدد من الدعاة والكتّاب كتباً مشابهة لقيت رواجاً كبيراً لدى القراء؛ مما يدل على ضرورة التوجه إلى مجالات جديدة في الدعوة والفكر الإسلامي.

وفي هذا الكتاب -كما يقول الشيخ الغزالي عن سبب تأليفه- مقارنة بين تعاليم الإسلام كما وصلت إلينا، وأصدق ما وصلت إليه حضارة الغرب في أدب النفس والسلوك، في محاولة للكشف عن روعة التقارب وصدق التطابق.

لقد قرأ الشيخ الغزالي كتاب «دع القلق وابدأ الحياة» لـ«ديل كارنيجي»، وبعدها ألف كتابه «جدد حياتك»، واعتمد في تأليفه على نصوص وأحكام الإسلام ويقابل بها كتابات وتجارب وشواهد «كارنيجي»، تأكيداً لقيمة الإسلام ومنهجه في التعامل مع النفس البشرية؛ فمن القلق إلى الثبات إلى العمل إلى مشكلات الفراغ إلى محاسبة النفس وغيرها، حيث تتنوع موضوعات هذا الكتاب تنوعاً ممتعاً، وتجد فيها الحياة اليومية والثبات والأناة والهموم والمتاعب ومعاناة القلق والعلم والعمل ومواجهة الفراغ والتوافه، والإيمان بالقضاء والقدر وصنع الحياة من الأفكار الخاصة، وعدم انتظار الشكر من الآخرين، وقيمة المال إزاء ما يملكه الإنسان من أشياء لا تقدر بثمن، والأثرة والإيثار، ونقاء السر والعلانية، والإيمان والإلحاد، وروحانية الرسول صلى الله عليه وسلم، وقيمة الإنسان حين يوجه إليه الانتقاد، ومحاسبة النفس.

هذه القضايا وغيرها يعالجها الشيخ الغزالي من خلال فكرة التحول والثبات، بمعنى عدم الاستسلام للظروف السلبية والتحول عنها إلى الظروف الإيجابية، أو تحويل الليمون الحامض المر إلى شراب حلو المذاق.

فالصبر -كما عرفه علماؤنا- «حبس النفس على ما تكره»، وهذا تفسير حسن إذا عنينا به مواجهة الشدائد البغيضة بثبات لا نكوص معه، وعقل لا يفقد توازنه واعتداله.

غير أن حبس النفس على ما تكره إذا عنينا به دوام الشعور بمرارة الواقع، وطول الإحساس بما فيه من سوء وأذى، قد ينتهي بالإنسان إلى حال منكرة من الكآبة والتبلد، وربما انهزم الصبر أمام المقارنات التي تعقدها النفس بين ما نابها، وما كانت تحب وتشتهي، كما قال الشاعر:

أقول لنفسي في الخلاء ألومها:
لك الويل، ما هذا التجلد والصبر؟

أعلام رحلوا في ديسمبر..

الجراح والخالد والشهداء الستة

موت الدعاة والعلماء خطب جلل ورزية عظيمة وبلاء كبير؛ فكلما كان للأشخاص دور عظيم وأثر كبير، كانت المصيبة بفقدهم أشد، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري: «إن الله لا يأخذ العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء»، ولكن سلوانا أن نظل نتذكر سيرة هؤلاء العلماء وأثرهم في نفوس الناس، فنقتفي أثرهم، ونسير على خطاهم، ونتعرف على علمهم وجهدهم.

عبده مصطفى دسوقي
باحث

عالم الكويت.. محمد بن سليمان الجراح

زخرت الكويت بالعديد من العلماء الذين تركوا بصمات على الواقع الحياتي في الوطن العربي والإسلامي والعالمي، ومن هؤلاء الذين تركوا بصماتهم العالم الحنفي محمد بن سليمان بن عبدالله الجراح، الذي ولد بأحد أحياء الكويت عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٢م، لوالد كان يعمل في التجارة، حيث ورث الشيخ وإخوته هذه التجارة بعد وفاة والدهم عام ١٩٥٧م.

تعلم الشيخ الجراح القرآن الكريم في مدرسة الملا أحمد الحرمي، قبل أن يلتحق بمدرسة الملا محمد المهيني، ثم مدرسة هاشم الحنيان حيث تعلم الحساب والكتاب، ثم قام بحفظ نظم الرحبية في المواريث، وانكب على العلم ينهل منه لحبه الشديد له.

اهتم الشيخ محمد سليمان بن الجراح بدراسة الفقه حتى أصبح أهم علماء الفقه في الكويت بعدما تلقى العلم على يدي أشهر علماء عصره بالكويت أمثال الشيخ عبدالله خلف الدحيان، والشيخ عبدالوهاب عبدالله الفارس.

تنقل الشيخ لينشر العلم في العديد من مساجد الكويت، كان آخرها في مسجد المطير بضاحية عبدالله السالم، وعرف الشيخ الجراح بغزارة علمه في الفقه، وتتلمذ على يديه عدد من الشيوخ.

كان الشيخ، يرحمه الله، متمسكاً بالسنة وداعياً إليها ومحذراً من الشرك والبدعة وأهلها، حتى قال عنه بعض الناس: إنه شديد في ذلك، وظل كذلك حتى وفاته يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى ١٤١٧هـ، الموافق ٢٨ ديسمبر ١٩٩٦م.

الجراح يعد من أعلام الفقه بالكويت بعدما تلقاه من أشهر علماء عصره مثل الدحيان والفارس

رسلان علي الخالد.. مقيل العثرات

رسلان علي الخالد (أبو علي) الذي قالوا عنه: «يتحرك بالليل والناس نيام، ويتلمس حوائج الناس، ويُقدّم العون في الخفاء، بعيداً عن الرياء، ويسعى للصغير والكبير على حد سواء».

ولد في سَلَمِيَة التي تبعد عن شرق حماة بنحو ٣٠ كم في وسط سورية عام ١٩١٩م، وذلك قبل أن يرحل إلى الكويت ويستقر بها في مارس ١٩٥٩م، بعدما حاربه الإسماعيليون في بلدته.

يقول عنه د. عبدالله العقيل: لم يكن من كبار العلماء ولا من ذوي الجاه، وليس من أصحاب المال، أو النفوذ، أو التجارة، بل كان رجلاً يعيش على الكفاف، ولم يتزوج؛ لأن عمل الخير شغله عن أي شيء آخر، وآثر أن يكون ملكاً للمسلمين، فهم إخوانه وأولاده، وخدمتهم هي أمله ومبتغاه.

وكتب عنه الأستاذ عبدالله شبيب، المحرر بمجلة «البلاغ» الكويتية: «لقد هجر الحاج رسلان الخالد موطنه الأصلي، فكانت هجرته لله، وعرفته الكويت وأهل الخير فيها، مناراً للخير والبر، يعيش لغيره أكثر مما يعيش لنفسه، ولم يعتن بجمع الحطام، ولا بالعمران والمال، وحين انتقل إلى جوار ربه، وُجدت في سجله مئات الأسر الفقيرة

الخالد عزف عن الزواج لانشغاله بعمل الخير وآثر أن يكون ملكاً للمسلمين وخدمتهم

التي كان يَسُدُّ حاجتها».

وجد في أهل الكويت التعاون على عمل الخير، حيث تسارع الناس وآزروه بالمال الكثير، لتوزيعه على ذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والمعوزين في الكويت وخارجها.

ظل في حرب ضد طائفة الإسماعيلية، واعتنى بتربية النشء، والعمل بمنهج أهل السنة والجماعة، وظل كذلك حتى توفاه الله في ٢٥ ديسمبر ١٩٨٤م، وقد خرج في جنازته جموع من المشيعين لم تشهد الكويت مثل أعدادهم، يمثلون أهل الكويت والمقيمين فيها من كل الطبقات ومختلف الأقطار.

الشهداء الستة

في مصر كان هناك ستة نفر كل حلمهم أن يجدوا وطنهم محرراً لا يدنسه محتل، وتعاهدوا جميعاً على العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والتحقوا بجماعة الإخوان المسلمين ليكونوا غصة في حلق الاستعمار، فأصبح منهم من شهدت له أرض فلسطين بالجهاد ضد الصهاينة، وقد رحلوا جميعاً معاً بعد أن أعيوا المحتل، الذي رصد مكافأة لمن يأتي برأس أحدهم، لكن للأسف كان رحيلهم بقرار من بني جلدتهم وليس من عدوهم الحقيقي.

إنهم: الفقيه الدستوري الشهيد عبدالقادر عودة، والعالم المجاهد محمد فرغلي، والمجاهد يوسف طلعت، والحقوقي إبراهيم الطيب، وهنداوي دوير، ومحمود عبداللطيف.

فقد جمعتهم جميعاً دعوة واحدة، وعملوا جميعاً لنصرة قضية وطنهم الكبير، ورغم اختلاف ميلادهم، فإن موتة واحدة جمعتهم، بعدما حكم عليهم بالإعدام بعد «حادثة المنشية» التي وقعت يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م ضد جمال عبدالناصر.

ورغم التحقيقات التي لم تثبت عليهم التهم -كما ورد في صحف «الأهرام» و«الأخبار» و«الجمهورية»- فإنهم جميعاً رحلوا في يوم واحد الموافق ٩ ديسمبر ١٩٥٤م، وصعدت روحهم جميعاً ليشكوا لربهم ما وقع عليهم من ظلم.

ولد عبدالقادر عودة بقرية كفر الحاج شربيني بمركز شربين في محافظة الدقهلية بمصر عام ١٩٠٦م، وتخرج في كلية الحقوق بجامعة الملك فؤاد (القاهرة) عام ١٩٣٠م، والتحق بالنيابة ثم القضاء حتى استقال منه عام ١٩٥١م، وبعد ثورة ٢٣ يوليو أصبح عضواً في لجنة وضع الدستور، وحينما اندلعت المظاهرات في مارس ١٩٥٤م بميدان عابدين التي أجبرت مجلس قيادة الثورة على إعادة نجيب إلى منصبه كرئيس للجمهورية، كان عودة رجل الموقف الذي لجأ إليه العسكر لصرف المتظاهرين، التي كانت سبباً في إعدامه بعد ذلك.

أما الشيخ محمد فرغلي، فقد ولد عام ١٩٠٧م في أسيوط، وتخرج في الأزهر الشريف، ثم عين واعظاً بالإسماعيلية؛ فكان له صولات في تربية الناس، وأصبح اسماً مفزعاً للإنجليز حتى إنهم رصدوا مكافأة ٥ آلاف جنيه لمن يأتي برأسه، لمواقفه في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ثم حرب القنال عام ١٩٥١م، ولتهديده القوة التي أحدثت مجزرة الإسماعيلية ضد الشرطة في ٢٥ يناير، وهو ما دفعهم للانسحاب من أمام المحافظة.

عودة وفرغلي وطلعت والطيب ودوير وعبداللطيف جمعتهم دعوة ونفس المصير

وفي مدينة الإسماعيلية، ولد يوسف طلعت -الذي لقب بأسد حرب فلسطين والقنال- عام ١٩١٤م، وتميز بالجرأة، والحنكة والدهاء، وهدوء الأعصاب، والصبر، وكان يمثل ابن البلد المصري بكل ما فيه من بساطة وجرأة وشهامة، فلم يخش أحداً، بل كان مصدر قلق للإنجليز في الإسماعيلية؛ حيث وضع خطة لنسف مخازن الذخيرة في أبي سلطان.

وحينما قبض عليه بعد حادثة المنشية كان أكثر من نال التعذيب، حتى إنه دخل المحكمة محمولاً لعدم مقدرته على الوقوف أو السير.

وفي مدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية، ولد إبراهيم الطيب عام ١٩٢٢م، حيث تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٤٤م، وعمل بمكتب عبدالقادر عودة للمحاماة والاستشارات القانونية.

لقد كانت آخر كلمات عودة ورفاقه: ماذا يهمني أين أموت؛ أكان ذلك على فراشي، أو في ساحة القتال.. أسيراً، أو حراً.. إنني ذاهب إلى لقاء الله»، ثم توجه إلى الحاضرين وقال لهم: «أشكر الله الذي منحني الشهادة.. إن دمي سينفجر على الثورة، وسيكون لعنة عليها».■

في تطوير التعليم الديني..

نحو تأسيس جامعة للاجتهاد الحضاري

كان للتقدم الغربي في العصر الحديث دور مهم في النظر إلى ما آلت إليه الذات المسلمة من قصور وجمود وتقليد، وغياب عن أداء واجبها الحضاري، وكانت هذه الصدمة سبباً رئيساً للذات المسلمة بالبحث في عوامل الانبعاث مرة أخرى.

ونتناول هنا أحد عوامل الانبعاث الحضاري، المتمثل في استعادة وهج الاجتهاد ووظيفته في الأمة.

أ.د. حسان عبد الله
أستاذ أصول التربية المشارك بمصر

انتقل التعليم الحديث – الأوروبي بالأحرى– إلى العالم الإسلامي بهدف تطوير الجيوش آنذاك في كل من مصر وتركيا وإيران، ومد الدولة باحتياجاتها من الإداريين في النظام البيروقراطي الجديد الذي تم استيراده أيضاً، وفي الوقت ذاته، بقي التعليم الإسلامي على حاله دون تطوير ذاتي، مما أفقده القدرة على الاستجابة لحاجات العصر، وكانت هذه الإشكالية الأولى التي وقع فيها هذا النوع من التعليم؛ وهي إقصاء يد الاجتهاد والتطوير من داخله، وصرف المسؤولون نظرهم عنه باعتبار عدم جدارته في الحياة الجديدة.

أما الإشكالية الثانية؛ فهي وصف التعليم الإسلامي القائم بـ«الديني»، وسحب مفهوم «الدين» بمعناه الكنسي المعروف على هذا المفهوم الجديد الذي لم يُعرف به طيلة عشرة قرون هي عُمر الحضارة الإسلامية، وأصبح التعليم في عالمنا الإسلامي واقعاً تحت ازدواجية جبرية معرفية مصنوعة بين تعليم أصيل (بكل سلبياته وآفاته التي ارتبطت بمرحلة الضعف الإسلامي العام) أُطلق عليه «التعليم الديني»، وتعليم آخر مستورد (بكل روافده الوضعية والتغريبية المهددة لهوية الأمة ومرجعيتها) أُطلق عليه «التعليم الحديث» أو «التعليم المدني».

تراجع الاجتهاد

من الآثار الواقعة التي نتجت عن توقف التعليم الإسلامي عند مراحل ضعف الحضارة الإسلامية هو تراجع حركة الاجتهاد الإسلامي على كافة الأصعدة، والاجتهاد الذي نعنيه هنا بمعناه الواسع الذي يشمل الفقه كما يشمل الاجتماع والتربية والاقتصاد والسياسة وكل حركة الإنسان المسلم ونشاطاته، ويدفع المسلمون حتى الآن – بسبب هذا التراجع– ثمناً باهظاً من خصوصياتهم الحضارية ومرجعيتهم وأصولهم الفكرية ومصادر حركتهم ونشاطهم العمراني.

ضمر التعليم الإسلامي الحديث والمعاصر على تخريج أجيال قادرة على الاجتهاد الفكري بشموله الذي ذكرناه (الفقه والاجتماع والاقتصاد والثقافة والسياسة..) ولم يؤثر في العقل الجمعي للأمة، وكان رفاعة الطهطاوي، ومحمد عبده، ومحمود شلتوت، وعبدالحليم محمود طفرات فردية في عُمر وعصر هذا التعليم، والواقع المشاهد أن ضمور هذا التعليم جعل جل وظيفته في الأمة هو نقل تراثها بغثّه وسمينة إلى الأجيال التالية، ومن ثم انتشر الاقتصاد الربوي وتقبلته عموم الأمة والسياسة الربوية والاجتماع الربوي والثقافة الربوية والفكر الربوي، ولم يستطع التعليم الإسلامي أن يقدم بديلاً معرفياً في هذه المجالات المعتبرة للحياة المعاشة.

ويمكن تقسيم محاولات تطوير التعليم الإسلامي إلى نوعين:

محاولات فكرية؛ كالتي قدمها محمد عبده في الأزهر الشريف، ومحاولات تنفيذية من جانب الدولة القُطرية التي أممت التعليم الإسلامي ليصبح خاضعاً للدولة في كل مواقفها ورؤيتها وسياستها الوضعية والتابعة للغرب، تمثل ذلك في قانون «إصلاح» الأزهر الذي أصدره جمال عبدالناصر عام ١٩٦١م[1]، والذي حوّل الأزهر إلى مجرد شبيه للتعليم الحديث في الجامعات الحديثة.

جامعة للاجتهاد الإسلامي

إن تطوير التعليم الإسلامي فيما يفيد العالم الإسلامي بات أمراً صعباً إلى حد الاستحالة في بلداننا العربية التي بات يهمين عليها نظام سياسي تابع بكل صور التبعية للغرب وأمريكا، والمقترح الذي نقدمه هنا هو الدعوة إلى تأسيس جامعة للاجتهاد الإسلامي، تكون مستقلة في مبناها الفكري والإداري والمالي عند الدولة القُطرية المعاصرة، ويمكن أن نحدد إطاراً فكرياً للجامعة المقترحة كما يلي:

١- المنطلقات: تجديد وظيفة الاجتهاد؛ ينبغي أن تنطلق الجامعة من تجديد لمفهوم الاجتهاد ذاته، ليشمل الاجتهاد التقليدي (في الفقه وأصوله والأدوات المرتبطة بهما)، ويضم كذلك مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة (السياسة، الاقتصاد، الاجتماع، التربية، الثقافة..) بما يحقق الاستجابة الحضارية لاحتياجات الأمة.

فالاجتهاد بمعناه القديم

> **يجب تأسيس جامعة للاجتهاد الإسلامي تكون مستقلة في مبناها الفكري والإداري والمالي عند الدولة المعاصرة**

(استخراج الحكم الفقهي للمكلف) لم يعد يفي باحتياجات المكلف في ضوء حالة الأمة المعاصرة، سواء الداخلية بما تعانيه من حالة سحق لقيمها وثقافتها، أو التحديات الخارجية المتمثلة في النهضة العلمية والتكنولوجية التي يشهدها العصر الحديث منذ أكثر من قرنين من الزمان، دون إسهام يذكر من العالم الإسلامي، ومن ثم أصبح من الضروري الانطلاق من تجديد مفهوم الاجتهاد بحيث يتلاءم من الحاجات الحضارية للأمة.

٢- الفكرة والرسالة: تتحدد رسالة الجامعة المقترحة في استعادة حركة الاجتهاد في الأمة، بما يجعل العقل المسلم قادراً على تجاوز أزمته الراهنة من ناحية، واستئناف حركته ونشاطه الحضاري من ناحية ثانية، وتأدية وظيفته في البلاغ والشهود والعمران من ناحية ثالثة.

٣- أهداف الجامعة: يمكن أن نشير في هذا الصدد إلى كليات رئيسة لهذه الأهداف، وهي:

أ- بناء أطر فكرية للاجتهاد الجماعي، فالاجتهاد الفردي يصعب عليه مواجهة مشكلات الأمة الراهنة، وهو ما اتفق عليه عدد كبير من رواد الإصلاح والتجديد المعاصرين[٢].

ب- تربية الكوادر البشرية من الباحثين والمفكرين القادرين على ممارسة هذا الاجتهاد.

جـ- تأسيس مراكز فكرية اجتهادية متخصصة داخل الجامعة (سياسية، تربوية، اجتماعية، اقتصاد، فقهية وأصولية، علوم قرآن، التراث، السُّنة، الثقافة..)، تعمل على توفير تأصيلات فكرية لنشاطات المسلم الحضارية، وتتنوع بحسب تنوع الاحتياجات والتحديات.

• رفاعة الطهطاوي

٤- مستهدف الجامعة: هو الدراسات العليا وما بعدها؛ أي ما بعد مرحلة الليسانس والبكالوريوس من كافة التخصصات والمجالات العلمية والاجتماعية والإنسانية.

٥- العلوم والمناهج والمقررات: يمكن تقسيم هذه المقررات إلى نوعين:

الأول: مقررات إسلامية وحضارية عامة، وتشمل:

أ- المقررات التمهيدية والمشتركة بين سائر الأقسام والتخصصات، وتضم: نظرية المعرفة الإسلامية، مناهج البحث العلمي، منهجية الحوار والتفاعل المعرفي من منظور حضاري إسلامي، فقه الاجتهاد والتجديد في التاريخ الإسلامي،

التعليم ببلادنا وقع تحت ازدواجية جبرية مصنوعة.. أصيل (الديني) وآخر مستورد (المدني)

الطهطاوي وعبده وشلتوت طفرات فردية في عُمر التعليم الديني

• محمد عبده

العالم الإسلامي المعاصر في النظام الدولي الجديد.

ب- مقرر العلاقة بين الدين والحضارة، ويشمل برنامج الدراسات المنهجية القرآنية (علوم القرآن)، ويضم مجموعة من المقررات المتصلة به: برنامج الفقه وأصوله، برنامج مقاصد الشريعة[٣].

الثاني: متطلبات معاصرة ومتخصصة، وتشمل:

أ- متطلبات متخصصة في كل تخصص من الأقسام المقترحة (سياسية أو تربوية أو فقهية أو قرآنية)، يقوم مضمونها المعرفي على:

- الرصد المعرفي والتحليل للعطاء التراثي الإسلامي في هذا المجال العلمي المتخصص، بهدف الوقوف على ما ينفع وما يمكن توظيفه في الحالة الحضارية المعاصرة لهذا التخصص الاجتهادي.

- الرصد المعرفي والتحليل للعطاء في التراث الإنساني، بهدف الوقوف على استيعاب الحكمة فيه.

- الرصد والتحليل المعرفي للعطاء الحديث والمعاصر الذي أسهمت به حركة الإصلاح المعرفي، والبناء عليه في تطوير الاجتهاد في هذا الفرع التخصصي.

ب- متطلبات فنية لكل التخصصات: وتتضمن بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية

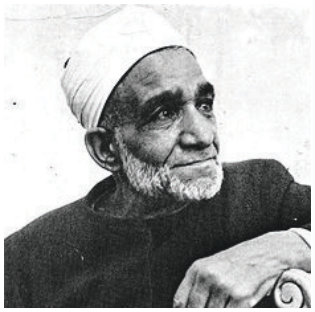

• محمود شلتوت

المعاصرة التي تفيد مناهجها في التعرف على خصائص الإنسان؛ مثل علم النفس، علم الاجتماع.

ومما يذكر، فإن هناك رصيداً معرفياً كبيراً لتأسيس مثل هذا النوع من الجامعات التي تجعل الاجتهاد الحضاري محورها ومركزها في الدرس والبحث المعرفي، كما أن هناك بعض التجارب التي سبقت تقترب من هذا المفهوم مثل الجامعة الإسلامية في ماليزيا، إلا أن غياب القصد في التوجه نحو تأسيس جامعة للاجتهاد يحصل خريجوها على هذه الدرجة العلمية الجديدة بلفظ «مجتهد»، وتكون مراكزها قادرة على تحقيق هذا العمل الحضاري، وتتواصل مع مؤسسات الأمة في كل بقاع الأرض.■

الهوامش

(١) من أهم بنود هذا القانون هو تحويل الأزهر من مؤسسة مستقلة مالياً وإدارياً إلى مؤسسة تابعة لوزارة الأوقاف، كما أصبح تعيين شيخ الأزهر من قبل رئيس الجمهورية بعد أن كان يتم اختياره من بين علماء الأزهر بصورة مستقلة، وتمت إعادة تشكيل المجلس الأعلى للأزهر وضم إليه ثلاثة خبراء في التعليم الجامعي تعينهم الحكومة.

(٢) من أهم رواد هذه الدعوة نحو الاجتهاد الجماعي: أبو الحسن الندوي، مصطفى الزرقا، يوسف الكتاني، عماد الدين خليل، وغيرهم.

(٣) استفدنا في هذه المقررات العامة في هذا النوع من: طه جابر العلواني: التعليم الديني بين التجديد والتجميد، القاهرة، دار السلام، ٢٠٠٩.

بهدف نشر اللغة العربية وثقافة القراءة..

«كُتَّاب المستقبل» مشروع قطري خيري لإثراء إبداعات الصغار

في تجربة فريدة بتوظيف العمل الإنساني مع الأخر الثقافي، أقدمت قطر الخيرية على إنجاز النسخة الأولى من مشروع ثقافي تقوم بتنفيذه، تحت مسمى «كُتَّاب المستقبل»، يهتم بتفجير المواهب الإبداعية لدى طلاب المدارس، كأحد أشكال مساهمة الجمعية الخيرية في المشاركة المجتمعية، والانخراط بالعمل الثقافي، وتوظيف المواهب المدرسية.

الدوحة - عمرو محمد:

الأعمال تدعم قضايا الضعفاء والمظلومين في أنحاء العالم

المشروع أفرز في نسخته الأولى ٦ مجموعات قصصية أنجزتها ٦ طالبات، تم اختيار أعمالهن من بين ١٨٠ عملاً، وتمت طباعة هذه المجموعات، مع تأكيدات رسمية بتحويل هذه المجموعات إلى وسائط متعددة، علاوة على ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية، لما تضمه من محتوى وقيمة كبيرة.

جودة هذا المنتج دفعت إحدى دور النشر للإعلان عن طباعتها لنحو ألف نسخة مجانية، دعماً لهذه الأعمال، مساهمة منها في العمل الخيري، الأمر الذي يعكس أهمية المنتج ذاته، علاوة على نجاح مثل هذا المشروع، الذي أرادت إحدى الجمعيات الخيرية القطرية الدفع به إلى المجتمع، لإثرائه ثقافياً ومعرفياً.

النجاح الذي حظيت به النسخة الأولى دفع قطر الخيرية إلى تدشين الأخرى الثانية، ليتم توجيهها إلى طلاب المدارس من البنين، وخلالها وقعت المفاجأة أن شهدت هذه النسخة إقبالاً لافتاً، حيث استقبلت أكثر من ٣٧٠ مشاركة، ليكون المشروع بذلك قد وضع أقدامه على عتبات التطور وفق ما حددت له قطر الخيرية ليسهم في اكتشاف وتنمية المواهب الأدبية لدى النشء، وذلك من خلال انتقاء المتميزين في كتابة القصة القصيرة وتدريبهم وصقل مواهبهم بورش تدريبية، ونشر القصص الفائزة وتوزيعها على الجمهور.

في هذا السياق، يقول علي الغريب، المدير التنفيذي للعمليات المحلية في قطر الخيرية: إنه ومن منطلق تنمية وخدمة المجتمع التي تعد أسمى أهدافنا في قطر الخيرية، والمحافظة على اللغة العربية ونشر ثقافة القراءة والكتابة بين طلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية، فقد وجدنا تفاعلاً لافتاً من المدارس المشاركة في برنامج المسابقة وزيادة بنسبة كبيرة مقارنة بالعام الماضي.

ومن جانبها، تقول ميسون عصيدة، مديرة المشروع: لقد تم في إطار المشروع تنفيذ عدة أنشطة حتى الآن منذ انطلاق المسابقة في نسختها الثانية خلال شهر مارس الماضي، حيث تم عقد لقاء تعريفي بالبرنامج في وزارة التعليم والتعليم العالي بحضور منسقي اللغة العربية واختصاصي المصادر في المدارس المشاركة، وتم تصنيف المشاركات التي زادت على ٣٧٠ مشاركة من قبل فريق قطر الخيرية، وإحالتها إلى لجان التحكيم، التي ستقوم بدورها بمراجعة وتقييم المشاركات لاختيار المتأهلين للمرحلة الثانية من المسابقة، التي تتمثل في حضور الورش التدريبية ضمن ملتقى كتّاب المستقبل ويقدمها أساتذة في جامعة قطر ولجنة اللغة العربية، وستكون طبيعة الورش حول كتابة القصة القصيرة.

وجاء تدشين النسخة الثانية

لتشكل مع سابقتها إضافة ثقافية جديدة لخدمة المجتمع القطري، ومن ثم إثراء المشهد الثقافي، بغية اكتشاف ما يتمتع به من مواهب تثري المكتبة القطرية والعربية وتدعم اللغة العربية، وتثري المشهد الثقافي، وترتقي في الوقت ذاته بالمجتمع القطري، وهو الأمر الذي ستكون له انعكاساته على نشر ثقافة القراءة، وتطوير مهارات الكتابة والتأليف، خصوصاً لدى فئات الأطفال والشباب.

ملامح الصعود الذي حققه البرنامج منذ نسخته الأولى تمثل في ذلك الإنتاج القصصي الراقي من إنتاج الطالبات؛ ما دفع صلاح بن غانم العلي، وزير الثقافة والرياضة، إلى الإعلان عن تبني الوزارة ترجمة القصص الفائزة إلى اللغة الإنجليزية، وتحويلها إلى وسائط متعددة؛ ما يؤكد حرص الوزارة على تبني مثل هذه المواهب ودعمها، باعتبارها مشاريع مستقبلية في عالم الإبداع، داعياً جمهور المتلقين إلى الاطلاع على أعمال البرنامج، فهي قصص مؤثرة، وموضوعاتها تحمل قيماً كبيرة.

من ملامح الثقة التي اكتسبها البرنامج أيضاً، وما يحمله من مواهب تنبئ عن مستقبل واعد للموهوبات والموهوبين، فقد سبق وأعلنت دار روزا للنشر عزمها طباعة ألف نسخة مجانية من البرنامج، وذلك بهدف الوصول إلى شرائح أكبر من المجتمع، تشمل فئات اليافعين والشباب من الجنسين، وتنفتح خلاله في الوقت نفسه على طيف أوسع من الجهات الحكومية وغير الحكومية ذات العلاقة على مستوى التنسيق والشراكة.

وفي هذا السياق، تقول عائشة الكواري، مديرة دار روزا للنشر: إن مشاركة الدار في هذه الشراكة تأتي حرصاً منها على المشاركة المجتمعية لصناعة ثقافية واعدة في قطر، لافتة إلى أن من الأهداف الرئيسة لدار روزا للنشر تشجيع المواهب الشابة والواعدة، وهو ما تعكسه مسابقة كتاب المستقبل، التي تسهم في إثراء المجتمع القطري بالمواهب الشابة، وتؤكد أن هناك جيلاً واعياً، مبدعاً، قارئاً وكاتباً.

دعم الضعفاء إبداعياً

أما المبدعات اللواتي أنجزن المجموعات القصصية، فيروين جانباً من خلاصة أعمالهن، إذ تؤكد حليمة حافظ عبدالله، مؤلفة «قصة الأمل»، أنها ستحرص على تسخير قلمها دوماً للكتابة عن كل ما يهم المجتمع، علاوة على قضايا الإسلام والمسلمين والضعفاء والمظلومين في أنحاء العالم، معتبرة البرنامج أتاح لها فرصة لتعلم الكثير، وذلك بالحصول على دورات تدريبية لصقل مهارات الكتابة لديها، حتى أصبحت قادرة على تأليف قصة كاملة وفق المعايير الأدبية.

وتقول: إنها إذا كانت قد كتبت قصتها من الخيال، إلا أن لها أصلاً في الواقع، إذ تعكس التفاؤل، وأعتبرها توثيقاً لتجربتي، وحرصت على أن تكون رسالة في التعامل مع المراهقين، وخاصة فيما يتعلق بالمشاعر العاطفية.

أما زينب أحمد، مؤلفة «لماذا صديقتي بدون قدمين؟»، فقد حرصت في قصتها على تجسيد معاني الصبر والإرادة والتحدي في الوقت ذاته، من خلال الفتاة ليلى، التي ولدت بدون قدمين، وعندما صار عمرها عشر سنوات تعرفت على صديقتها سلوى، التي وقفت إلى جانبها، مجسدة في ذلك معنى الصداقة، وتقديم العون للآخرين، لافتة إلى أنها كتبت العمل بعد اجتياز العديد من الورش والدورات المختلفة.

بدورها، تتناول فاطمة عباس في عملها «أخي بدر»، فتقول: إن دليلها إلى كتابة هذه القصة مجموعة من المدربات اللواتي أسهمن في تطوير موهبتها، لتكون محصلة كل هذه التراكمات قصة زاخرة بالمعاني الإنسانية النبيلة، التي تتناول قصة بدر، ذلك الطفل طيب القلب، من ذوي الاحتياجات الخاصة، وتعرضه لمضايقات بمحيط بيئته، غير أنه بإرادته انتصر على إعاقته.

أما منة الله نصر الدين، صاحبة «العواصف المشتعلة»، فتقول: إن عملها جاء وليد موهبتها في الكتابة، التي تجيدها منذ الصغر، وحرصتُ على تطوير مهاراتي وصقلها من خلال الورش التدريبية، لأقدم هذا المنتج، الذي يعكس صمود منة ومواجهتها للتحديات التي ظلت تعاني منها، منتصرة عليها، وعلى أحزانها.

في قصة نورة ناصر المري، والمعنونة «أبتاه اغفر زلتي»، تتلاحق فيها الأحداث بصورة متسارعة، حيث يرسم عملها صوراً إنسانية مؤلمة لنكران الجميل، من خلال عبارات رشيقة، ومفردات جزلة.

أما لبنى أبوجيش، مؤلفة «سلة التين»، فتعرب عن سعادتها بهذا العمل الأول لها، قائلة: فأنا أؤمن بأن النجاح لا يأتي على طبق من ذهب، ولا بحظ نتعثر به، إنما هو نتاج نقطفه في موسم الحصاد بعد عناء بذلناه لإنتاج الأفضل.■

تصرفات للزوجات تتسبب في «الطلاق العاطفي»

تضاعفت شكوى الزوجات من البرودة العاطفية مع الأزواج ومن انصرافهم عنهن، وتعمّد تقليل التعاملات معهن، واقتصارهم على متابعة شؤون الأسرة، والمتطلبات المادية والرد عليهن بفتور، قالت زوجة: أثق أن زوجي لو رآني بالشارع لن يتعرف علي؛ فمنذ سنوات لا ينظر لوجهي عندما يكلمني، ويرد على تساؤلاتي بأقل كلمات، وأتحسر على تدهور علاقتنا، وعلى النهاية المؤلمة التي لم أتوقعها!

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

مع احترامنا البالغ لمشاعر هذه الزوجة ومثيلاتها، فإن هناك علامات كثيرة ومقدمات صنعت النهاية المؤلمة، ويمكن تغييرها بعد الاستعانة بالرحمن؛ بمحو أسباب «الطلاق العاطفي»، وهو الاسم الدقيق للفتور المتواصل بين الزوجين، وللتراجع الحاد بالاهتمام بالزوجة، والاكتفاء بأداء الواجبات الأسرية والمادية، وكأن الزوج يقول للزوجة: هذا أقصى ما يمكنك الفوز به؛ فاقبليه بلا اعتراض.

ومن أكثر أسباب الطلاق العاطفي شيوعاً تعامل الزوجة مع الزوج وكأن اهتمامه أمر مضمون وحتمي مهما أساءت إليه، والمؤكد أننا إذا واصلنا السحب من أي رصيد دون الانتباه لإضافة الجديد فسنفاجأ بانتهائه، وهو ما تنساه بعض الزوجات.

وما يضاعف رصيد الزوجة بقلب وعقل زوجها حرصها على التعامل معه بلطف ورقّة وأنوثة ليس باللقاء الزوجي فقط، ولكن بكل تفاصيل الحياة اليومية، فلا يعلو صوتها عليه، ولا تسفّه منه ولا من آرائه ولا من أسرته مهما اختلفت معه أو معهم، ويسود الاحترام تعاملاتها معه، وتزرع في أولادها احترامه واحترام أسرته.

تُسرف بعض الزوجات في لوم الزوج لدفعه لتغيير ما ترفضه الزوجة، والمؤكد أن اللوم المستمر يتسبب في ضيق الزوج، فلا أحد يحب الشعور أنه سيئ أو مقصر دائماً، وعلى الزوجة إتقان تجاهل الأمور الصغيرة التي لا تحبها في تصرفات زوجها، والتركيز على مزاياه وإسعاد نفسها بها، فلا أحد كامل، وجميعنا لدينا عيوب.

فتتجاهل عيوب زوجها أو بعض التقصير غير المتعمد، وهذا ليس تضحية أو تنازلاً، بل ذكاء، وتشجع زوجها باللسان الحلو واللفتات اللطيفة معه ومع أسرته ليحسن معاملتها.

سخط وتحريض

لا تنتبه الزوجة أحياناً للجدار الذي ينشأ بينها وبين زوجها، فبعدما كان الحوار بينهما متصلاً، إذا به يتناقص تدريجياً، وتبهت المشاعر وتتراجع، وينشأ الفتور بينهما، وغالباً ما يكون لمحاولة الزوجة إجبار زوجها على التغيير أو سخطها الدائم من أي أخطاء يرتكبها، وكأنه لا يفعل أي شيء جيد، وتذكيره بأخطائه السابقة كلما حدث بينهما خلاف، وأخبرني زوج أن زوجته تبدأ بتذكيره بكل أخطائه منذ الخطبة فور حدوث مشكلة، رغم مرور ٢٠ عاماً على زواجهما، فتسبب في رفضه العاطفي لها.

وقد تخضع الزوجة لنصيحة قاتلة من الصديقات إثر تزايد الخلافات مع الزوج، وتتلخص بالاستمرار في الزواج لأجل الأولاد فقط وإهمال الزوجة للزوج، وغالباً إهمالها لنفسها وتراجع أنوثتها وذبول جمالها وتوديعها للرشاقة.

والأذكى السعي بلطف وبمثابرة وبلا إلحاح لإذابة الخلافات ومنع تصعيدها، والتوقف للأبد عن الشكوى للصديقات؛ فهي تؤجج الخلافات وتزرع المرارة في نفس الزوجة، فغالباً تحصد الانحياز لرأيها ومجاملتها والتحريض ضد الزوج، فتشتعل نيران الخلافات بدلاً من إطفائها.

وننبه لخطأ إطالة الخصام مع الزوج وتوقع مسارعته بمصالحتها، ومع تكرار الخصام يكره الزوج هذا الأسلوب، وتقل رغبته في إنهاء الخصام، وإذا

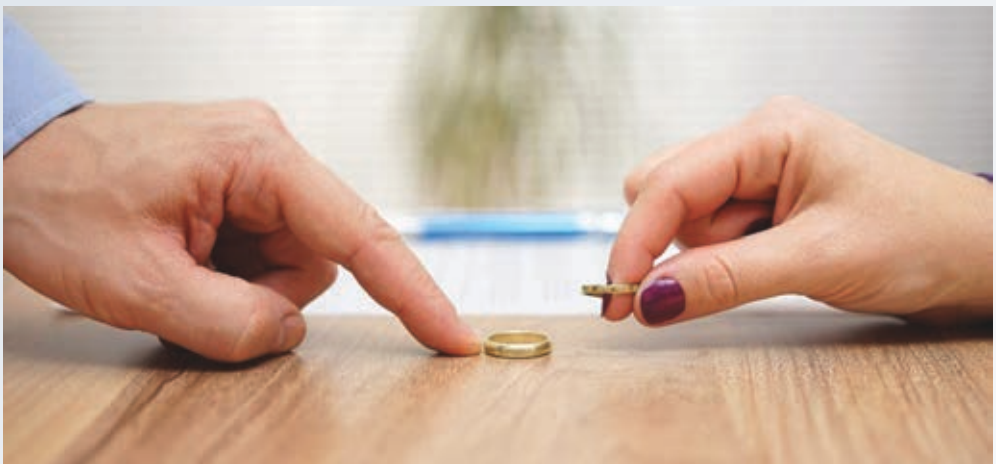

أنهاه لتسير الحياة يحتفظ في داخله بمرارة تتراكم مع تكرار سوء المعاملة، وتتضاعف إذا لجأت الزوجة للامتناع عن اللقاء الزوجي، أو التعامل معه بلا مبالاة، والأذكى الاستفادة من هذا اللقاء الحميم بتحسين العلاقة مع الزوج وزرع الدفء بالزواج.

من أكثر أسباب الطلاق العاطفي شيوعاً وإيلاماً للرجل تعالي الزوجة عليه لثرائها أو جمالها أو حب الزوج الزائد لها، والتعامل مع لطفه وتدليله لها وكأنه حق لا يملك التراجع عنه ولا تقدم المقابل من حقوقه عليها، وتتجاهل علامات ضيق الزوج وانزعاجه، وتراهن على سيطرتها العاطفية عليه حتى تُفاجأ بانصرافه عنها، كما قالت زوجة: إن زوجها فعل المستحيل ليتزوجها وعاملها لسنوات كملكة متوجة، ولا تدري لماذا يتجاهلها مؤخراً!

وتتجاهل الزوجة أن زوجها يكره ويتألم من معايرتها له بأنه أقل من أزواج صديقاتها، وهناك من يفضله تقدم لخطبتها، ولسوء حظها اختارته هو، وهذا الكلام يقتل مشاعره نحوها، وقد يتجاهله في البداية ثم يرد بكلام قاس وحاد، فتقول الزوجة الأسوأ، ويدخلان في دائرة لعينة، من الذكاء عدم الاقتراب منها.

أخطاء شائعة

قد يحدث الطلاق العاطفي لأن الزوجة لم تواكب تطور اهتمامات زوجها بالحياة، وأحياناً انتقاله لطبقة اجتماعية أعلى بعد نجاحه بالعمل، وتصر على التعامل معه كما كان في بداياته، وعدم الاهتمام بتطوير نفسها ثقافياً واجتماعياً، ولا تكتفي بذلك وتعايره أحياناً بماضيه بدلاً من مدحه والفخر

تنسى بعض الزوجات أننا إذا واصلنا السحب من أي رصيد دون الانتباه لإضافة الجديد فسنفاجأ بانتهائه

من أكثر أسباب الطلاق العاطفي تعالي الزوجة لثرائها أو لجمالها أو لحب الزوج الزائد لها

به أمام الأولاد وتشجيعهم على التحسين من أنفسهم كما فعل والدهم.

وقد تتوقع الزوجة أن تكون «رقم واحد» في حياة زوجها؛ لأنها تجعله «رقم واحد» في حياتها، فتكثر من الاتصال الهاتفي به، وتحاصره عندما يكون بالمنزل، حتى لو كان مشغولاً، وتكلمه في اهتماماتها الخاصة، وتتجاهل أنها اهتمامات تخص «حواء» فقط، وبإمكانها الحديث عنها مع أمها وصديقاتها؛ فيضيق الزوج، ويظهر الغضب؛ فتبالغ بالانسحاب وكأنها تعاقبه بالإهمال ويحدث التباعد ويزيد مع الأيام.

والأفضل أن يكون الزوج من أهم مكونات حياة الزوجة، على أن يكون لديها حياتها الخاصة وهواياتها وتتعلم فنون الاقتراب بلطف والابتعاد بذكاء؛ ليفتقدها وتحترم رغبته بقضاء بعض الوقت وحيداً أو مع عائلته أو أصدقائه، ولا تجعله يشعر بالذنب أو تحرضه على الكذب هرباً من المضايقات، وبإمكانها استغلال هذا الوقت بالعناية بجمالها وممارسة هواياتها وزيارة أهلها وصديقاتها، وتحسين علاقتها بأولادها وقضاء أوقات لطيفة معهم.

لا يكره الأزواج شيئاً مثل كراهيتهم لحب بعض الزوجات للجدال، والإصرار على الرأي والتراجع عما اتفق عليه الطرفان قبل الزواج، فقد بدأ الطلاق العاطفي بين زوجين لإصرار الزوجة على العمل بعد الإنجاب رغم اتفاقها مع الزوج على عدم العمل قبل الزواج، وخضع الزوج لمنع الطلاق بينهما، واستمرا مع حدوث انفصال عاطفي، فلم يسامحها الزوج.

ويضيق الأزواج بتفضيل الزوجة لآخرين على زوجها بالمبالغة بالاهتمام بالأولاد على حساب الزوج، وكأنها تقصر وجوده على دور الممول، ومن يحل مشكلات الأسرة، ولا بد أن تشعر الزوجة زوجها -بلا مبالغة- بأهميته في حياتها وحياة الأولاد عاطفياً وليس مادياً فقط، وألا تهمله أبداً، ولا تهمل مسؤولياتها الأسرية، وألا تُكثر من الاعتماد النفسي عليه بكل تفاصيل الحياة، فهو يريد شريكة لحياته يعتمد عليها، ويطمئن لنجاحها بتدبر أمور الأسرة وليست طفلة تلجأ إليه بكل صغيرة وكبيرة.

ومن المهم تجديد الزوجة

بدأ الطلاق العاطفي بين زوجين لإصرارها على العمل بعد الإنجاب رغم اتفاقهما على غير ذلك

لأسلوب تعاملها مع الزوج بتفاصيل الحياة، وفي اللقاء الزوجي، فالتكرار يقتل اللهفة ويصنع الملل والفتور ويقود للطلاق العاطفي ولو بعد حين.

ويجب الاعتدال مع الزوج، فلا مبالغة بسؤاله عن أدق تفاصيل يومه، ولا تجاهل؛ حتى لا يصبحان غريبين يعيشان في بيت واحد.

معايرة وإيذاء

الضغوط المادية ليست سبباً في الطلاق العاطفي، ولكن معايرة الزوج وعدم التعاون لاجتيازها بأقل أضرار، وإشعاره دائماً بالتقصير، هو الذي يؤذي الزوج نفسياً ويتسبب في الطلاق العاطفي.

ومبالغة الزوجة بالاستقلال المادي وعدم المشاركة في الإنفاق على الأسرة والتعامل بحذر زائد معه بالأمور المادية يجعله يشعر بخوفها منه وكأنه خائن أو غير جدير بالثقة؛ فتتراجع عاطفته نحوها.

ويجب أن تتجنب الزوجة إفشاء أسرار زوجها أو إقحام أهلها في مشكلاتها الزوجية وطرد عناد الزوج، وألا تترك بيت الزوجية أبداً، ففرص تراجع الزوج ورغبته في إرضائها ستقل بعد تركها للبيت، وستتضاعف عند مكوثها رغم الخلاف، وأن تتعامل مع زوجها بذكاء، فقد عرفت بحكم العشرة ما يثير غضبه فتتجنب فعله ولا تكرره وتتوقع أن يتقبله، وألا تتعامل بخشونة معه، فهي زوجته وليست صديقه، فلا بد من التعامل بأنوثة، فتكون صديقته وحبيبته، وتمنع مسببات الطلاق العاطفي من الاقتراب من مملكتها لتنعم بالسعادة والنجاح، وتصنع أسرة سعيدة تفتخر بها وتجدد رضاها عنها كما أدعو لكل بنات حواء.■

الأخيرة

بقلم: د. عصام عبداللطيف الفليج

هل ما زال الأمل قائماً بالعودة؟!

تستقبل دول العالم المتقدم العديد من المهاجرين إليها لأسباب مختلفة (اقتصادية، سياسية، دراسية.. إلخ)، وغالباً يكون تفكير ذلك المهاجر البقاء بضع سنوات، ثم العودة إلى بلدته التي يعشقها، وتمتد به السنوات تلو السنوات حتى يتزوج وينجب ويدخل أبناؤه المدارس، والأمل مازال قائماً بالعودة، ويحصل على الجواز، ويكبر أبناؤه ويدخلوا الجامعة، والأمل ما زال قائماً بالعودة، ويعمل الأبناء في أماكن متعددة وفق جنسيتهم الجديدة؛ ليمثلوا الجيل الثاني من ذلك المهاجر، ثم يتزوجوا وينجبوا ويدخل أبناؤهم المدارس، ويصبح ذلك المهاجر جداً، والأمل ما زال قائماً بالعودة، ويكبر الأحفاد ويدخلوا الجامعة، ويعملوا في عدة وظائف، ليمثلوا الجيل الثالث من ذلك المهاجر، ولا نعلم هل ما زال ذلك المهاجر على قيد الحياة أم لا، وإن كان حياً فهل الأمل ما زال قائماً بالعودة؟!

تبقى هذه السلسلة من المهاجرين سُنة الحياة منذ بدء الخليقة، من جميع الأجناس والأعراق والأديان، وإلا لما وصل البشر إلى أقاصي الأرض شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً، ليتم إعمار الأرض حتى تستوعب تلك الهجرات المتوالية.

وهناك من استثمر هذه الهجرات علمياً واقتصادياً وعسكرياً وفنياً ورياضياً وثقافياً ودينياً وقيمياً.. وغير ذلك، (نقلت اليابان التقنية من ألمانيا، لتكون رائدة الصناعة في العالم)، ولو استعرضنا أسماء كبار المستثمرين والسياسيين والاقتصاديين والرياضيين في العالم؛ لوجدنا عدداً كبيراً من المهاجرين، وهناك من هاجر ومات ولم تكن له بصمة في هذه الحياة، لا على نفسه ولا ذريته ولا مجتمعه.

ومن هؤلاء المهاجرين مسلمون من عدة أجيال، فمنهم من فقد لغته الأم (مع أنهم يتعلمون لغتين بالمدرسة)، ومنهم من فقد دينه (بالاسم فقط)، ومنهم من فقد قيمه وهويته، ومنهم من نقل مشكلاته وخلافاته من الموطن الأصلي إلى المهجر، ومنهم من تقوقع على نفسه، فلا استفاد من الفرص المتاحة له كمواطن في بلد متقدم، ولا ارتقى بنفسه فكراً وعلماً وثقافة، وثبت أن ذلك كله مرتبط بمدى اهتمام الأسرة بالأولاد؛ تربية وتوجيهاً وتعليماً، ومدى تفاعل الوالدين مع فعاليات ومرافق المجتمع، في الدوائر الأقرب فالأبعد.

ومنهم من ارتقى بنفسه في شتى المجالات؛ فرأيناه محافظاً ولورداً وبرلمانياً ووزيراً ورئيساً، ورأيناه طبيباً ومهندساً ومحامياً وصيدلانياً ولاعباً، (في لندن «رابطة أطباء القلب المصريين» لكثرتهم، فما بالك بباقي التخصصات؟!)، ورأينا البرلمانيين والإعلاميين والرموز الاجتماعية والاقتصادية، ووصل بعضهم إلى حد الثراء، وعلاقات سياسية واجتماعية لا حدود لها، ويحرصون على أداء صلاة الجمعة في المسجد، شيء جميل، ولكن.. ما أثر ذلك على المجتمع المسلم؟ وما أثر ذلك على الدعوة الإسلامية؟ وما أثر ذلك على أبنائهم في بلد المهجر؟!

لقد دفعوا ثمن الهجرة كثيراً من عواطفهم وعلاقاتهم وأحبابهم، وحققوا ما لم يتوقعوه أو يحلموا به، لكنهم لم يعكسوا ذلك حمداً وشكوراً في الحرص على تعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم واللغة العربية وأصول الدين الإسلامي التي تعلموها في موطنهم الأصلي، ولا في دعم المراكز الإسلامية التي تقوم بذلك نيابة عنهم، التي تتسول الأموال كل صلاة جمعة، ومن الدول المانحة.

ولا نعلم.. هل قدموا رسائل إيجابية عن الإسلام؟ هل دافعوا عن الإسلام من خلال عملهم أو مناصبهم؟

إذاً أصبحت الهجرة هنا مضيعة للدين والمال، والعمر والأجيال، فما دامت الهجرة قسرية، فلنجعلها إيجابية بعطائنا لأجل ديننا، فما لم يحصل عليه غيرك، لتكن أنت سبباً في حصوله عليه، لعل الأمل بالعودة يعود.■